بوابة التاريخ

تأليف

خالد الطبلاوي

للنشر والتوزيع
نحو أدب راقٍ

الإهداء

إلى باقة الرياحين؛ رواء، وبتول، وأطفال المسلمين.

إلى رسالة الإسلام، وسند للأطفال، والعاملين بهما؛ وفاءً وتقديرًا.

أُهدي عملي المتواضع.

المقدمة

كلمة للأحباب

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله، وصحبه.

وبعد

أحبابي وقرة عيني

إنَّ قـراءة التاريـخ تضيف إلى أعمارنـا أعمارًا، وإنَّ تاريـخ كلِّ أمةٍ يمثل جذورها التي إن أهملتها؛ كان خلعها بيد أعدائها أيسر ما يكون.

وقد فكرتُ كثيرًا فـي مدخلٍ أعرض لكم عبره صفحات من تاريخ أمتكم العظيمـة؛ حتى لا يكون عرضًـا جافًا، وقد وفقني الله عـز وجل إلى فكرةٍ طريفـة؛ وهـي أن يكون العـرض عبر مغامـرات قصصية، وخيـالٍ علمي ينقلكم إلى الأحداث التاريخية حتى كأنكم ترونها رأي العين، فكانت «بوابة التاريخ» التي نشرتها في حلقات على موقع سند للأطفال، ثمَّ جاءتكم هنا مجموعةً في كتابٍ واحد.

وأسأل الله جل في علاه أن يقبلها منِّي، وأنَّ تنال إعجابكم فتنتفعوا بها.

والله ولي التوفيق.

خالد الطبلاوي

٢٠١٨/١١/١٠

الحلقة الأولى

أسرع سند يُوقظ أخته رغد وصوتُ أذانِ الفجر يتردَّد في جنباتِ البيت:

سند: قومي للصَّلاة يا رغد.

رغد: دعني يا سند، وأيقِظني بعدَ عودتِك من المسجدِ كعادتِكَ.

سند: لا يا أختي العزيزة، اليوم يختلفُ عن كل الأيَّامِ، لقد أعددْتُ لكِ مفاجأةً.

قامت رغد بسرعةٍ وهي تهلِّل، بينما أسرع سند إلى المسجد، وبعد عودتِه أخذا يستعدَّان للرِّحلة العلميَّة الرائعة، فقد كانتِ المفاجأةُ أنَّ جدَّهما العالِمَ الدكتورَ/ فاضل دعاهما لزيارةِ مُختبرِه العلميِّ؛ ليكونا أولَ طفلين في العالم يسمحُ لهما بدخول بوَّابة التاريخِ.

انطلق سند ممسكًا بيَدِ أختِه رغد وقد حملا الحقائبَ وبها الأشياءُ التي أمرهما بها الجدُّ العالِمُ، وتوجَّها إلى بوابة المختبر الذي لا يبعدُ عن مسكنِهما إلا خمسَمائة مترٍ.

رحَّب الجدُّ بسند ورغد وبدأ في شرحِ فكرةِ بوابةِ التَّاريخِ وكيف توصَّل إلى هذا الاختراعِ من خلال بحثه عن وسيلةٍ تُسابق تيَّارَ الزمن عكسيًّا لتطَّلِعَ على مشاهد الماضي التي غابتْ عنَّا ولم نرَها.

ثمَّ أحضرَ الجدُّ اللباسَ الخاصَّ بدخولِ البوابة وأمرهما بارتدائِه، وبدأ الجدُّ في تعليمِهما ما يجوز لهما وما لا يجوز وكيف يستخدمان قوسَ الحاجز الزمني ليمنع عنهما أخطارَ الاشتراك في الزمان الماضي.

نظر سند إلى البوابةِ الغريبةِ التي تُشبه فوهتُها الدائرةَ ولكنها تمتدُّ حلزونيًّا إلى العُمقِ مثل القوقعةِ، وتشبَّثت رغد بيد أخيها في انتظار أمرِ الجدِّ بالقفز داخل البوابة، ثم جاء العدد واحد، اثنان، ثلاثة، اقفز.

دخل سند وأختُه رغد إلى عالمٍ غريبٍ فاتَّجها إلى مسطرةِ الزمن وحدَّد

سند القرنَ الأولَ الهجريَّ وحدد سنة ٣٥ من الهجرة ثم اتَّجه إلى الخريطةِ ولمس منطقةَ البحرِ المتوسِّـط، فإذا بهما يطيران فـي الهواء ليهبطا على إحدى السـفن التي تقف ضمن سـتِّمائة سـفينةٍ يقف عليها جنودٌ يلبسون الزيَّ البيزنطيَّ.

اختبأ سـند ورغد خلف شـراع إحدى السـفن وسـمعا القائد «قنسطانز الثانـي» قائد الروم وملـك بيزنطة وهو يأمر جنوده بحرب المسـلمين بلا هوادةٍ فأثارت كلماتُه الجنودَ الذين راحوا يهتفون:

- الويلُ للعربِ.

غضبت رغد من صيحاتهم وصرخت في وجوههم:

- بل الويل لكم سنهزمُكم بإذن الله.

التفت أحدُ الجنودِ ناحيةَ الصوت، فرآهما وعرف مِن ملامحِهما وملابسِهما أنَّهما من أبناء المسـلمين فعمد إلى القوس وأخرج سـهمًا ليرميَهما ولكن سند سارع برفعِ قوس الحاجزِ الزَّمنيِّ الذي نقلهما بسرعةٍ إلى مكانٍ آمِنٍ.

وفـي الحلقةِ القادمةِ يا أحبابي نرى ما سـيحدثُ لسـند ورغد في بوَّابةِ التاريخ.

❖ ❖ ❖

الحلقة الثانية

معركة ذات الصواري

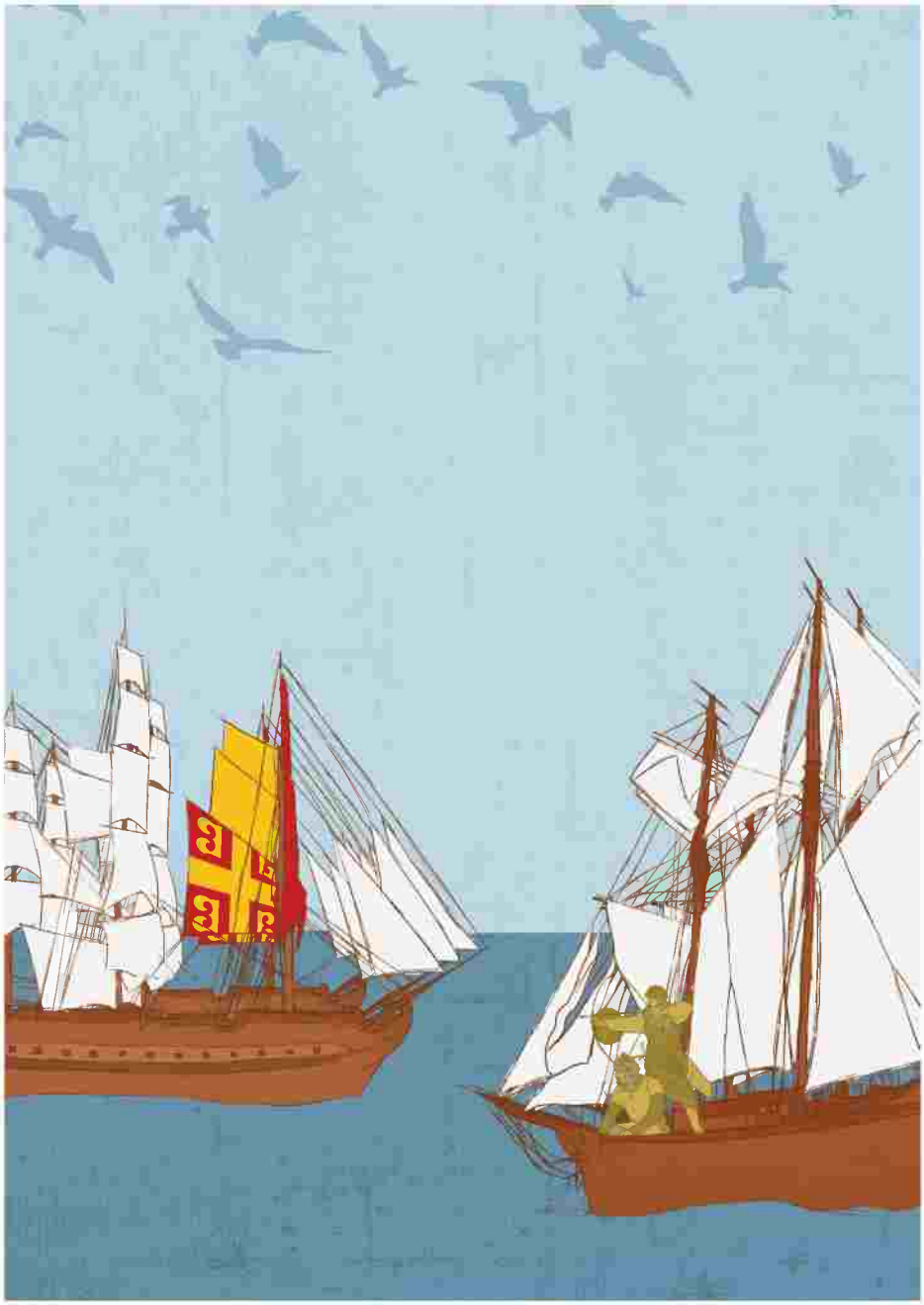

رأيْنا في الحلقةِ السَّـابقةِ كيفَ دخل سـند ورغد إلى بوَّابة التاريخ، وهي اختراعٌ توصَّل إليه جدُّهما العالِمُ لنطَّلِعَ من خلاله على ما حدث في الزَّمانِ الماضي عن طريق المسـابقةِ العكسـيَّةِ للزَّمنِ، ورأينا كيف تعرَّض سـند ورغد للخطـرِ عندما هاجمهما أحدُ جنود الملك قنسـطانز في موقعة ذاتِ الصَّواري وهي أوَّلُ موقعـةٍ حربيَّةٍ إسلاميَّةٍ، فتعالوا اليوم لنرى ماذا فعلا؟

انطلق سـند ومعه رغد بصندوق الزمن إلى شواطئ جزيرةٍ كانت تُسمَّى بذات الصواري؛ لكثرةِ الأشجارِ الموجودةِ فيها التي تصلحُ لتصنيعِ صواري السـفن، فوجدا سُفنَ أميرِ البحرِ للجيشِ الإسلاميِّ وهو القائد/ عبدالله بن سـعد بن أبي سرح وكان قائدًا شـجاعًا حكيمًا، ووقفا ينظران إلى تصرُّفِه وقـد أنزل نصفَ الجنـودِ إلى الجزيـرةِ لتأمين الجيش من الاعتـداءِ البرِّيِّ واستبقَى معه النِّصْفَ الآخَرَ.

وفجأةً سـمعا أحدَ الناس وهو يُنذر أميرَ الجيش باقتراب أُسطولِ العدوِّ في سُفنٍ يقترب عددُها من الألفِ، فوقف القائدُ يستشير الجنودَ ثلاثَ مرَّاتٍ ولم يرُدَّ عليه أحدٌ إلَّا أحدُ الجنود قائلاً:

- سِـرْ على بركةِ الله أيها الأميرُ، فكم مِن فئـةٍ قليلةٍ غلبتْ فئةً كثيرةً بإذن الله.

واقترب الجيشـان وبدأ التَّراشُقُ بالسِّهام، ثمَّ بعد أن نفدتِ السهامُ تبادل الجيشـان القذفَ بالحجارة، ونظر سـند متعجِّبًا من صنعِ المسلمين وقال لأخته رغد:

- انظري يا رغد إلى هذه التَّوابيتِ الخشبيَّةِ المفتوحة مِن أعلى، إنَّ الجنودَ يختبئـون فيها ومعهـم الحجارةُ في مِخْلاةٍ من القمـاش حيث يقذفون العدوَّ.

وبعد أن نفدت الحجارةُ ربط المسـلمون سُـفنهم بسُـفنِ الأعداء وبدأتِ

الحربُ بالسُّـيوفِ والخناجر، وقُتل من الروم عددٌ لا حصر له واستُشهد من المسلمين عددٌ كبيرٌ.

وفجأةً صرختْ رغد:

- انظرْ يا سند، إنَّ الأعداءَ يُحاولون جرَّ سفينةِ القائد المسلم ليأسِروه.

فردَّ سند:

- لا تخافي، انظري لهذا الجنديِّ الشجاع إنه يضربُ السِّلسلةَ التي ربطوا بها سفينةَ القيادة بالسيفِ، الله أكبر، لقد قطعها.

رغد: نعم، ولقد أصاب أحدُهم قنسـطانز قائدَ الجيشِ البيزنطيِّ، أدركوه يا جنودَ المسلمين إنه يهربُ متخفيًا في زِيِّ بحَّارةٍ.

سند: ما بكِ يا رغد أنسيتِ أننا نستخدمُ قوسَ الحاجزِ الزَّمنيِّ؟

رغد: نعم يا سـند، نسـيتُ من شـدَّة فرحتي بالنصر، الله أكبرُ ما أعظمَ أمجادَ المسلمين!

وإلى هنا تنتهي الحلقةُ الثانيةُ يا أحبابي وإلى اللقاء في الحلقة التالية.

❖ ❖ ❖

الحلقة الثالثة

معركة ملاذ كرد

وفي زيارةٍ جديدةٍ قام بها سـند وأختُه رغد لمختبرِ جدِّهما العالم الكبير الدكتـور/ فاضل طلبَا من الجدِّ أن يسـمحَ لهما بالاسـتمتاع برحلةٍ جديدةٍ عبـرَ بوابة التاريخ، فابتسـم الجدُّ معبرًا عن سـعادتِه بشـجاعةِ الحفيدين وحبِّهما لتاريخ الأمَّةِ.

قام سـند ورغـد بتجهيزِ متطلَّباتِ الإبحار العكسـيِّ فـي الزمن ثمَّ قفزا داخـلَ بوابة التاريخ وتوجَّها إلى مسـطرةِ الزمن وحدَّدا سـنة ٤٦٣هـ، ثم توجَّها إلى الخريطةِ وضغطا على المنطقةِ التي تشـملُ الآنَ سوريا وتركيا، فطَارَا في الهواء وحين هبطا إلى الأرض قالت رغد:

- انظرْ يا سند إلى هذا الجيشِ، ما هذه الملابسُ البيضاءُ التي يلبسونها؟

سـند: إنها الأكفانُ يا رغد، إنَّهم جيشُ المسـلمين وعلى رأسِـهم سلطانُ دولةِ السلاجِقة ألب أرسلان، وعددُهم لا يتجاوز العشرين ألفًا، وقد تعاهدوا على القتالِ حتى النَّصر أو الشـهادة، لا بُدَّ أنها معركةُ ملاذ كرد التي قرأتُ عنها من قبلُ.

رغد: ولكنَّ جيشَ العـدوِّ بقيادةِ «رومانوس» ملكِ الروم قد تجاوز عددُه الثـلاثُ مئةِ ألـف مقاتلٍ ومعهم كاملُ العتاد والسـلاح، انظُـرْ إنَّ منظرَهم يُخيفني.

سـند: لا تخافي، إنَّ المسلمين لم ينتصروا يومًا بالعددِ ولا بالعتادِ، ولكنْ ينتصرون بطاعتِهم لله.

اختبأ سند ورغد خلفَ إحدى الصخور وسمعا السلطان ألب أرسلان وهو يخطبُ في الجيش بعد أن سجد للهِ وهو يلبسُ الكفنَ فقال:

- أنتم الآنَ مخيَّرون، فمَن أراد أن يُقاتلَ معي فلْيقاتلْ، ومن أراد أن ينصرفَ فلينصرِفْ.

فصاح الْجَيشُ كُلُّه:

- كلُّنا معك، إمَّا النصرُ وإما الشهادةُ.

وبـدأتِ المعركـةُ وبدأ الأعـداءُ يقذفـون اللهـبَ والحجارةَ علـى جيشِ المسـلمين، وصاحتْ رغد في أخيها سـند الذي وقف علـى صخرةٍ بجانب رايةِ المسـلمين تحذِّرُه وتطلب منه الاختبـاءَ خلفَ الصَّخرةِ حتى لا يُصِيبَه سوءٌ خاصَّةً وقد ترك معها قوسَ الحاجزِ الزمنيِّ.

اسـتجمع المسـلمون قوَّتَهم وهجموا هجمةَ رجلٍ واحـدٍ فاندحر الأعداءُ وكان النصرُ المبينُ.

نظر سند ثمَّ كبَّر قائلاً:

- الله أكبر، انظري يا رغد، لقد وقع ملكُ الروم في الأسرِ.

رغد: نعمْ، وها هو سـلطان المسلمين يعطيه درسًا في الأخلاقِ، اسمع يا سند؛ إنه يقبل منه الفديةَ ويطلق سراحَه، وسيرسل معه كوكبةً من الجنودِ يشيِّعونه حتى بلادِه تحت رايةِ «لا إله إلا اللهُ، محمدٌ رسول الله».

سند ورغد:

- الله أكبر والعزَّةُ للإسلامِ.

وهنا أصدر قوسُ الحاجزِ الزَّمنيِّ صوتَ الإنذار لِيُعلمَهما أنَّ وقتَ الرحلة قد انتهى فعادا إلى مختبرِ جدِّهما من جديدٍ.

❖ ❖ ❖

الحلقة الرابعة

موقعة عين جالوت

أسرع سـند ومعه رغد إلى مختبرِ الجدِّ الدكتور/ فاضل لينظرَا ما الأمرُ المهـمُّ الذي يدعوهُما مِن أجلهِ، فدخلا وسـلَّما عليـه وقبَّلا يديه، فأخبرهما الجدُّ أنه اسـتطاع تطويرَ كاميرا يُمكنها التصويرُ بكفاءةٍ في رحلاتِ بوابة التاريخ المعاكسةِ للزمنِ.

طار سـند ورغد فرحًا بهـذا الإنجازِ؛ لأنه سـيُمكِّنهما من تسـجيلِ هذه الأحداث الرَّائعةِ ونقلِها إلى الأطفال في كلِّ أنحاء العالم، ولكنَّ الجدَّ أخبرهما أنَّ الأمرَ ليس بهذه السـهولةِ، فإن التصويرَ يتطلَّب منهما الاقترابَ أكثرَ من الأحداثِ دون استخدامِ قوس الحاجزِ الزمنيِّ.

وافق سند ورغد واستعانا بالله على هذه المَهمَّةِ الخطيرةِ، وانطلقا داخل البوابة بعد أن تعلَّما كيف يستخدمان هذه الكاميرا الجديدة.

وقالت رغد:

- دعني يا سند أحدِّد الزمان والمكان هذه المرَّةَ، فهناك موقعةٌ رائعةٌ أريد أن أحضرَها.

حـدَّدت رغد عـامَ ٦٥٨هـ، واختـارت فلسـطينَ وبالتَّحديدِ سـهلَ عينِ جالوتَ فطارا في الهواء وهبطا على أحد التِّلال التي تُمكِّنهم من المشاهدة والتصوير.

وصاح سند:

- انظـري يا رغد، إنَّ عددَ جيشِ المسـلمين قليلٌ جدًّا ويقف على رأسِـهم القائـدُ البطـلُ بِيبـرس فأيـن القائد سـيف الديـن قطز القائـد الأعلى للمسلمين؟

فردَّت رغد:

- لَا يا سند ليس هذا كلَّ الجيشِ، انظر هناك خلفَ هذه التلال، إنَّ السلطان

قُطز يختبئ ببقيَّةِ الجيشِ إنها خدعةٌ رائعةٌ.

وبـدأ «كَتَبْغَا» قائـدُ التَّتار يقع في الفخِّ، فقد اغترَّ بعددِ جيشِـه لمَّا رأى المقدِّمةَ القليلةَ لجيش المسلمين وأمر جنودَه بالهجومِ فورًا.

ثبتَ القائدُ بيبرس بمَن معه من الجنود حتى أنهكوا جنودَ التتار ثمَّ بدأوا في تنفيذِ الخطَّةِ بالانسـحابِ إلى سـهلِ عين جالوتَ، وابتلع القائدُ التتري «كتبغـا» الطُّعـمَ فتبعهم بكلِّ جيشِـه ليقضيَ عليهم، وهنا جـاءتِ اللحظةُ الحاسمةُ.

ونادت رغد على سـند لتحذِّرَه فقد اقترب جدًّا بآلةِ التصوير من المعركة وهو يصوِّر السلطان قُطُزَ وهو يدخل إلى السهل من كلِّ الجهاتِ ويُحاصر جيـشَ التتار وازداد القتالُ ضراوةً، ورمى جنديٌّ مِن التتار السـلطانَ قُطز بسـهم ولكنه أخطأه وأصاب فرسَـه فقتله، فنزل يُقاتل ماشـيًا ورفض أن يأخُذَ حصانَ أحدِ الفُرسانِ حتى أحضروا له فرسًا من الخيلِ الاحتياطيِّ.

بـدأ جيشُ التتار فـي الانهزام بعـدَ أن توجَّهَ أحدُ أمـراءِ المماليك يُدعى جمالَ الدِّين إلى قائدِهم كتبغا فأَطاح برأسِه، وبدأ السهلُ يمتلئ بأجسادِهم فأحدثوا ثغرةً وفرُّوا مسرعين إلى منطقةِ بيسان ولكنَّ المسلمين لحقوا بهم وبدأت معركةٌ أخرى انتهت بالقضاء على جيش التتار كاملاً.

وهُنـا صاحت صفارةُ الإنذار مـن قوسِ الحاجزِ الزمنيِّ فـكان لا بُدَّ من العودةِ الفوريَّةِ لمختبرِ الجدِّ.

❖ ❖ ❖

فتح القسطنطينية ١

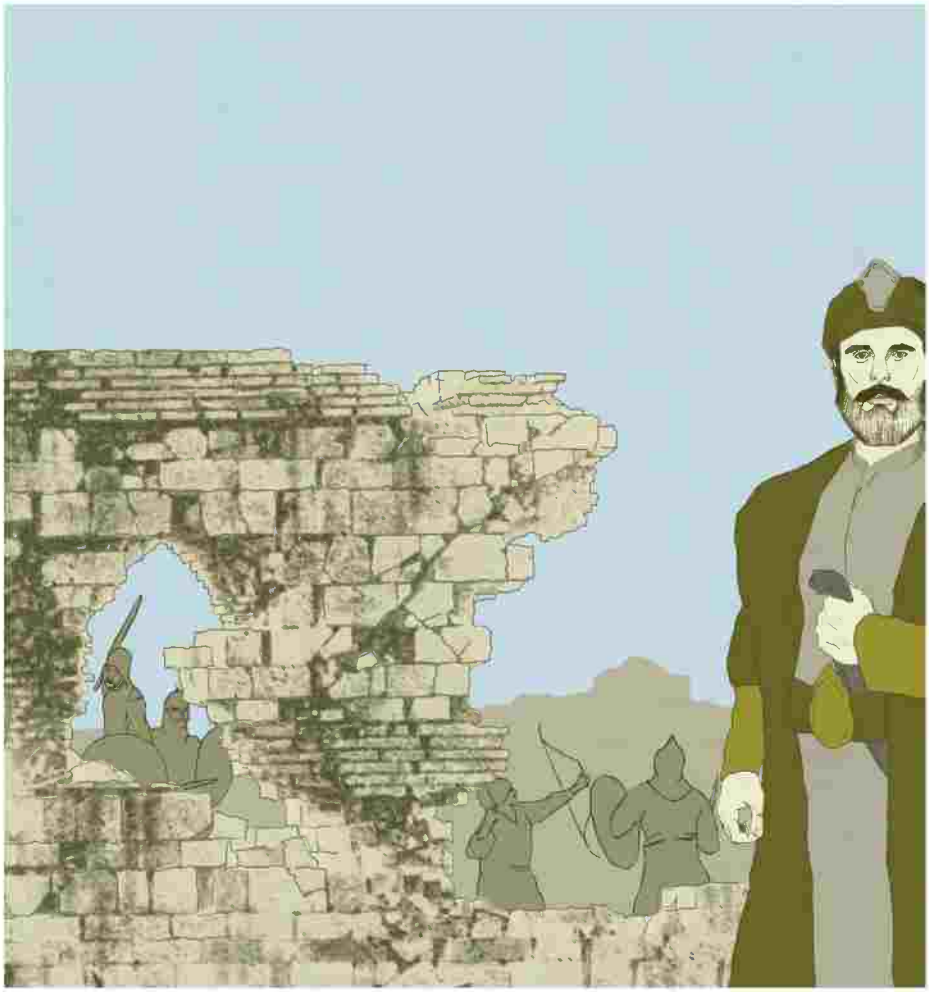

اســتطاع سند وأختُه رغد إقناعَ جدِّهما العالم الدكتور/ فاضل أن يسمحَ لهما بزيارةٍ أســبوعيَّةٍ لبوابــة التاريخِ، فقد أحبَّا هذا الاختــراعَ الرائعَ الذي ينقلُهما إلى تاريخ وأمجاد الأجدادِ.

وفي هذه الزِّيارةِ وبعدَ الاســتعدادِ للإبحار عبرَ الزمنِ العكســيِّ قال سند لرغد:

- أتحبِّين رؤيةَ السُّفن وهي تجري على الأرض؟

فتعجَّبت رغد وقالت: لَا بُدَّ أنك تمزح، وهل حدث ذلك في تاريخ أمَّتنا؟

فقال سند: نعم قد حدث وسوف ترين بعينيك.

ثــمَّ قام ســند بتحديد القــرن الخامس عشــر الميــلادي وبالتَّحديد عام ١٤٣٥م الموافــق ٨٥٧ مــن الهجرة، واتَّجه إلى الخريطــةِ ووضع يدَه على تُركيــا، فطَــارا في الهواءِ ليســقطَا في مَكان تحدثُ فيــه معجزةٌ بمقاييسِ البشرِ، اقترب سند ورغد ليشاهدَا هَذه المعجزةَ، فقالَ سند:

- سُــبحان الله؛ انظري يا رغد، إنَّ سُــفنَ المســلمين تســيرُ فــوقَ الأرضِ وتصعد التلالَ.

فقالت رغد:

- نعــم، إنه إبــداعٌ لم يعرفْه أحدٌ فــي التاريخِ، ولكنْ لماذا يأمرُ الســلطانُ محمدٌ الفاتحُ بهذا؟

فقال سند:

- تعالي لنستمعْ لهذا القائدِ وهو يشجِّع الجنودَ والعمَّالَ لعلَّنا نعرف منه الخبرَ.

اتَّجه ســند ومعــه رغد إلى القائــدِ الذي كَان يحــرِّضَ الجنــودَ والعمَّالَ بشجاعةٍ ويقولُ:

- يا أبناءَ الإسلامِ، أعرف أنَّ ما تُنجزون الآنَ سيسطِّره التاريخُ على أنه أحدُ المستحيلاتِ ولكنَّ أسلافَكم قد قهروا المستحيل من قبلِكم، وإنَّ الأعداءَ قد سدُّوا القرنَ الذَّهبيَّ على سُفن المسلمين حتى لا تُحاصرَ القسْطنطينيَّةَ وقد أقسمْتُم وأقسم سلطانُكم على فتحِ القسطنطينية، لتنالوا بشارةَ الرسول ﷺ حيثُ أثنى على الأميرِ والجيشِ الذي يفتحها، وإنَّ عملَكم الآنَ هو أولُ بشاراتِ الفتحِ، فلا تتركوا السفنَ حتى يفاجأَ بها الأعداءُ وهي تمخُر في القرن الذهبي.

وهنا كبَّر الجنودُ والعمَّالُ، وزادتِ الهمَّةُ، وسار سند ورغد مع السُّفن وهُما في غايةِ الانبهار، حيثُ تمكَّن المسلمون من نقلِ سبعين سفينة جرًّا على الأرضِ المغطَّاة بألواحِ الخشبِ المدهونةِ بالشحم والزيوت لمسافة ثلاثةِ أميالٍ في ليلةٍ واحدةٍ، وما إن نزلتِ السُّفنُ إلى القرنِ الذهبي حتى كبَّر المسلمون في صوتٍ واحدٍ لتنزلَ الحسرةُ ويحلَّ الخوفُ في قلوبِ أهل القسطنطينية.

وهُنا دقَّ جرسُ الإنذار بضرورةِ العودةِ إلى مختبرِ الجدِّ، فعَادَا وقد عزما أنْ يُكملا مشاهدةَ فتحِ القسطنطينية في المرَّةِ القادمةِ.

❖ ❖ ❖

فتح القسطنطينية ٢

عاد سند وأختُه رغد بلهفةٍ إلى مختبرِ الجدِّ الدكتور فاضل وهما يشتاقان لدخولِ بوَّابة التاريخِ لمتابعةِ فتح القسطنطينية، وقد استعدَّا للدخول وفي هذه المـرَّة أمرهم الجدُّ بلبسِ القناع المضادِّ للغازاتِ بعدما علِم برغبتيهما في متابعةِ الجنودِ المسـلمين الذين عمِلوا في سـلاحِ المهندسين في جيش السـلطان محمد الفاتح الذي أكرمَه اللهُ بفتح القسـطنطينية الذين أدخلوا الرُّعبَ في نفوسِ سـكان القسطنطينية بسببِ الأنفاق التي كانوا يحفرونها تحتَ الأرض ويصِلون بها إلى كلِّ مكانٍ في المدينةِ.

اتَّجهت رغد إلى مسـطرةِ الزمن وحـدَّدت عامَ ١٤٣٥م الموافق ٨٥٧ من الهجرةِ وحدَّدت منطقةَ تركيا لِيطيرا في الهواء هذه المرَّةَ ويهبطا في قلبِ مدينـةِ القسـطنطينيةِ، وبمجرَّدِ الهبـوط صاح أحدُ المارَّة وهو يُشـير إلى منظرِهما العجيبِ وهما يرتديان زِيَّ الإبحار العكسـي للزمن بالإضافة إلى الأقنعة العجيبة قائلاً:

- إنَّهم العثمانيُّون خرجوا من تحت الأرض من جديدٍ، أين الجنودُ؟ أنقذونا.

وهنا اضطرَّ سـند ورغد إلى استخدامِ قوسِ الحاجزِ الزمنيِّ لينقلَهما إلى مكانٍ آمنٍ فنقلهما إلى داخلِ أحد الأنفاقَ التي يقوم المسلمون بحفرِها بجِدٍّ ونشاطٍ، فسمعا أحدَ الجنودِ في المقدَّمةِ يقول للقائدِ:

- لقد وجدنا سردابًا يا سيِّدي يؤدِّي إلى المدينة.

فقال القائدُ:

- فلنبتعِـدْ عنـه فلعلَّه كمينٌ صنعه الرُّومُ ليسـلِّطوا علينا النارَ والسـوائلَ الحارقةَ كما فعلوا مِن قبلُ مع بعض السَّرايا.

ولم تمضِ إلَّا دقائقُ حتَّى انتشــرتِ النِّيــرانُ والدُّخانُ في النَّفقِ، واضطرَّ ســند ورغد إلى اســتخدامِ قوس الحاجــز الزمنيِّ مرَّةً أخــرى للرُّجوع إلى مختبرِ الجدِّ العلَّامة الدكتور/ فاضل وهما يدعُوان بالرَّحمة للشُّهداء الذين ضحُّوا بأرواحِهم وقدَّموا النماذجَ الرائعةَ للأجيالِ من بعدِهم.

❖ ❖ ❖

فتح القسطنطينية ٣

دخل سند وأختُه رغد على جدِّهما وهو مستغرقٌ في التفكيرِ فسلَّما عليه فردَّ السلامَ وهو يفتحُ ذراعيْه في شوقٍ لهما، وبعد حديثٍ يغمرهُ الودُّ والمحبةُ قال سند (مبتسمًا):

- جدِّي الحبيب؛ دخلنا عليك وأنت مستغرقٌ في التفكير؛ هل هناك اختراعٌ جديدٌ؟

فردَّ الجدُّ بعد أن تنهَّدَ:

- لا، ولكنه تعديلٌ على بوَّابة التاريخ، فقد رأيتُ أنكما تصبَّان الاهتمامَ على بطولاتِ المسلمين الحربيَّة، ولعلَّ ذلك يرجع إلى بُروزِ سنواتِ هذه البطولاتِ على مسطرة الزمن، مع أن هذه البطولات على عظمتِها لا تمثِّل إلا جانبًا واحدًا من عظمةِ حضارتنا.

فقالت رغد باهتمامٍ:

- معك حقٌّ يا جدي؛ لقد سمعتُ أنَّ أجدادَنا المسلمين بلغوا العُلا من أسبابِ التَّقدُّمِ والرُّقيِّ ولكني لا أعرف عنها الكثيرَ.

وهنا تبسَّم الجدُّ قائلاً:

- ولهذا سأدعوكم بعد أن تستكملوا مشاهدةَ فتحِ القسطنطينية إلى رحلةٍ ستكون من أجمل الرِّحلاتِ عبرَ بوَّابة التاريخِ.

قفز سند متشوِّقًا:

- ما هي يا جدي؟

الجد:

- ليس الآنَ إنها مفاجأةٌ، والآنَ هيَّا لاستكمالِ فتح القسطنطينية.

دخل سند ورغد إلى بوَّابةِ التاريخ، وبعد أن لبِسا ثيابًا تُوحي بأنهما من أبناء هذا العصر؛ اتَّجهت رغد إلى مسطرة الزمن من جديدٍ، وحدَّدت عامَ ١٤٣٥م الموافق ٨٥٧ من الهجرة وحددت منطقةَ تركيا ليطيرا حيث السُّلطانُ محمد الفاتح يحاصر القسْطنطينيَّة.

كان الوقتُ بعد منتصف الليل حين بدأ الهجومُ بأمرِ السلطان المؤمن البطل، وانطلق الأبطالُ إلى أسوارِ المدينة وعلتْ أصواتُهم بالتكبير، وقد قذف ذلك التكبيرُ الرعبَ في صدورِ الأعداء فراحوا يدقُّون أجراسَ الكنائس.

ونظر سند إلى رغد وهما يختفيان وراءَ صخرة مشيرًا إلى الأبطالِ:

- انظري يا رغد إنَّ القائدَ محمد الفاتح يركِّز الهجوم هنا في منطقة وادي ليكوس، وفي الوقتِ نفسِه أمر بهجومٍ آخرَ من جهةِ البحر ليُنهك الأعداءَ.

فقالت رغد:

- إنه قائدٌ عالي الهمَّةِ والخبرةِ، انظرْ هذه الفرقة الثالثة التي تهجم على الأسوار بعد الفرقتين السابقتين لكي لا يُعطيَ لجنودِ العدوِّ فرصةً للراحة.

وعندما بزغتِ الشمسُ أمر القائدُ بضربِ الأسوار بالمدافعِ، ثم قامت قواتُ الإنكشاريَّة - وهي التي تُسمَّى الآن بقوَّات الصاعقة - بعملياتٍ فدائيَّةٍ استطاعتْ مِن خلالها فتحَ ثغرةٍ إلى المدينة، وعلا التكبيرُ من جديدٍ، ودخل الجنودُ إلى المدينةِ، وقُتل الإمبراطور قسطنطين في المعركة، ودخل السلطان محمد الفاتح منتصرًا، وسجد شكرًا لله، وأمر بحسنِ معاملةِ أهل المدينة، ولم ينسَ جنودَه ولا شعبَه في هذا النصر العظيم حيث قالَ:

- الحمدُ للهِ؛ ليرحمِ اللهُ الشهداءَ ويمنح المجاهدين الشرفَ والمجدَ،

ولشعبي الفخر والشكر.

وهنا دقَّ جرسُ الإنذار بانتهاء الوقت ليعودَ سند وأخته رغد إلى المختبر، وهما في غايةِ الفخر والاعتزاز بأمجاد الأمَّةِ.

❖ ❖ ❖

الحلقة الثامنة

حضارة الأندلس ١

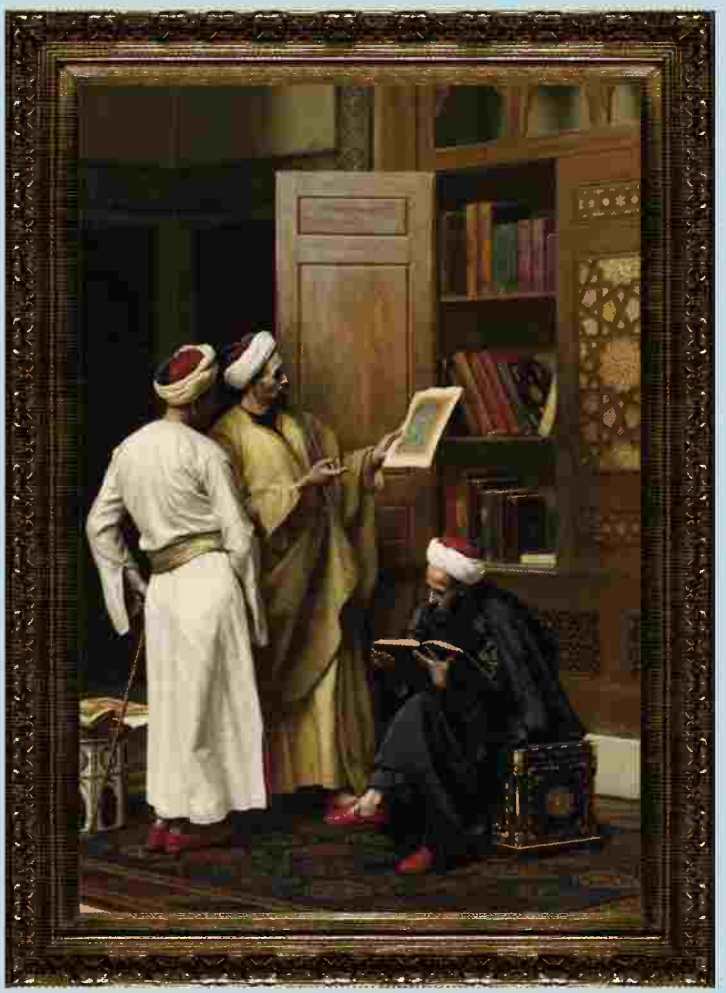

في شــوق إلى الرحلة التي وعد بها الجدُّ عبر بوابة التاريخ أســرع ســند ورغد إلى مختبر الجدِّ فاضل وخيالهم يسرح هنا ويمرح هناك إلى أن وقفا بين يدي الجدِّ الحبيبِ فسلمَا عَليه وقبَّلا يديه وقال سند في سرور بالغ:

- جدِّي الحبيب؛ قد تجهزتُ وأختي للرحلةِ التي وعدتنا بهَا.

ضَحك الجدُّ وهو يمسحُ على رأسيهما بحنان قائلاً:

- لا بأس ولكن هذه المرة سيكون معكما ثالث.

تعجبت رغد وقالت:

- ومَن هو يا جدِّي ؟ وهل هو طفل مثلنا؟

ضحك الجدُّ من جديدٍ وقال مداعبًا:

- لا ولكنه يحبُّكما وأنتما تعرفانه وتحبانه وتزورانه فتسعدا بزيارته رغم أنه يكبركم بستين سنة.

فصاح سند وأخته:

- هيييييه؛ أجمل رحلة ستكونُ مع الجدِّ الحبيبِ.

الجد مبديًا اهتمامه:

- إذن هيا بنا فليس لدينا وقت نضيِّعه.

ارتــدَى الجميعُ الثيابَ الأندلســيةَ ودخلوا إلى بوابــةِ التاريخِ وحددَ الجدُّ علــى الخريطــةِ المكان وهو إســبانيا الحالية والتي كانت تســمى الأندلس لمدة ثمانية قرون ولم يحدد الجدُّ سنة بعينها فقد قرر التجول بين القرون ليشاهدوا مظاهر حضارة المسلمين في الأندلس.

طــار الجدُّ والحفيدان بعد ضغط زرِّ الانطلاق ليهبطَا أمامَ مكتبةٍ عظيمةٍ هــي مكتبة المســتنصر بالله الذي أدخل كتب الطب من الشــرق المتحضر

لأوروبا المظلمة لأول مرة، وقف الجميعُ مندهشين لضخامة وروعة المكتبة فناداهما الحارس في أدبٍ للدخول قائلاً:

- تفضلوا بالدخولِ؛ إنها مكتبةٌ عامةٌ لكلِّ من شاءَ أن يطلبَ العلم، ولقد جمعَ فيها الأميرُ المستنصرُ بالله لشدة تعلقه بالعلمِ ما يزيد على أربعمائة ألف كتاب جمعها من شتى البلاد.

ولما رأى العجبَ والدهشةَ عَلى وجوههم أردفَ قائلاً:

- ليس هذا فحسب ولكنه أنشأ في مدينة الزهراء دارًا لنسخ الكتب، أنتم هنا في أكثر البلاد تقدمًا وعلمًا.

وبعد جولةٍ كبيرة في المكتبةِ خرجَ الجدُّ والحفيدان وشكروا القائمين على أمرِ المكتبةِ ثم قال الجدُّ للحفيدين:

- بقِي أن نشاهدَ أحدَ مصانعِ الورقِ الشهيرة هنَا والتي يرجعُ لها الفضلُ في انتشارِ الكتبِ، ومن ثمَّ انتشار العلمِ.

وانطلق الثلاثة إلى مدينة شاطبة حيث مصنعها الكبير الذي حاز الشهرة في إنتاج الورق بجودة عالية وكان سببًا في انتشار هذه الصناعة في أوروبا، فتجولوا فيه ورأوا كيف أتقن أجدادنا العمل.

وهنا صاح سند:

- لا أكاد أصدق أننا في زمن مضَى، إنها حضارة رائعة.

وقالت رغد:

- جدي؛ سمعت كثيرًا عن مدينةِ الزهراء وقصرِ الحمراء ونريدُ زيارتهما.

وكاد الجد يوافق لولا أن صفارة الإنذار قد انطلقت لتنبههم إلى ضرورة الرجوع إلى المختبر فوعدهما الجدُّ برحلةٍ أخرى إلى الأندلس العظيمة.

❖ ❖ ❖

حضارة الأندلس ٢

بعد أن انبهرَ الجدُّ والحفيدان بما شاهدوه من حضارة الأندلس كان الجميع ينتظرون في شوق للتعرُّف إلى المزيد من هذه الحضارة الرائعة.

حضر سند ورغد إلى مختبر الجدِّ العالم فاضل وهما على أتمِّ الاستعداد للإبحار مرة أخرى عبر بوابة التاريخ، فوجدا الجدَّ قد استعدَّ للرحلة.

سلما على الجدِّ الذي رحبَ بهما، وأخبرهما أن الرحلة هذه المرة أشبه بالخيال إنهم سيتجهون إلى مدينة قرطبة حاضرة العالم في القرن الرابع الهجري، والتي بلغت من الحضارة مبلغًا يدهش الباحثين في تاريخها.

دخل الجميع إلى بوابة التاريخ وحدد الجدُّ المكان على الخريطة واختار القرن الرابع الهجري، لينطلق الجميع ثم يهبطوا مدينةً تخيلوا لجمالها أنهم على كوكب آخر فقال سند:

- ما هذا يا جدِّي؟! أنحن حقًا في القرن الرابع الهجري؟! إن الشوارع واسعة وجميلة ومنسقة، ومرصوفة بالحجارة، والمباني كأنها قطعٌ من الجنةِ، فكلُّ بيت له حديقته الخاصة.

فتبسم الجد قائلاً:

- هذه ضاحية واحدة من ضواحي مدينة قرطبة، والتي بلغت ثماني وعشرين ضاحية، وبلغ عددُ دورها ثلاثة عشر ألف دار، وبلغ عدد سكانها نصف مليون نسمة، لقد كانت تسمى «جوهرة العالم»، وهؤلاء الذين ترونهم في ثيابٍ مختلفة عن ثيابِ أهل قرطبة هم سياحٌ قد جاءوا لمشاهدةِ حضارة قرطبة.

وهنا صاحت رغد:

- ولكن يا جدِّي مَا هذا البناءُ العظيمُ ذو المعمارِ الرائعِ؟ إنني لا أكاد أرى آخره.

فقال الجد:

- إنهـا جامعةُ قرطبة؛ انظري إلى هذا الوفـد الأجنبي الذي تتقدمه امرأةٌ، إنه وفدٌ من علماء إنجلترا برئاسـة ابنة ملكهم، وقد جاءوا يطلبون العلم في جامعة قرطبة بعد أن سـمح لهم حاكمُ الأندلس المسـلم هشـام بن عبد الملك بذلك استجابة لرجاء ملك إنجلترا.

ثم انطلق الثلاثة إلى سـوق قرطبـة، فتعجبوا من جمال تخطيطها حيث وجدوا لكل تجارة سـوقها الخاصة، فهذا سـوق المعادن وهذا للورق وهذا للزهور في تنسيق بديع ودقة وجمال في البناء.

ثم زاروا أحد مستشـفيات قرطبة الخمسـين، ورأوا مدى اهتمام أطبائها بالإنسـان أيًا كانت جنسـيته دون تمييز، فقد كانت أوربا في هذا الوقت لا تعرف عن الطب شيئًا، وكان الأوربيون يرحلون لقرطبة لطلب العلاج.

ثـم انطلقوا ليمرُّوا من فوق قنطرة قرطبـة الجميلة ذات المعمارِ المميز وهم يشعرون أنهم يعيشون في الخيالِ.

وانبعثـت صفـارة الإنـذار لتنبههم إلى انتهـاء وقت الرحلـة فعادوا إلى المختبـر وهـم عازمون علـى أن يكونوا سـببًا في نهضة وحضـارة الأمة الإسلامية من جديد.

❖ ❖ ❖

حضارة الأندلس ٣

فـي رحلة جديدة عبـر بوابة التاريخ أصرَّ الجـد العالم فاضل أن يعطي حفيديه درسًا بعد انبهارهما بحضارة الأندلس فقال:

- رحلة اليوم يا أبنائي رحلة الإبداع والأوجاع.

فقالت رغد:

- لا يـا جدي أنا لا أحـب الأحزان، نريد أن نرى حضـارة أمتنا في عصور قوتها.

فقال سند:

- لماذا يا رغد إنها سـنة من سـنن اللـه، إن الأمم والدول لهـا أعمارٌ ولها شباب وشيخوخة، والمهم أن نفيد من التجاربِ ونتعلم من الأحداث.

أعجب الجد بكلام سند فمسح على رأسه قائلاً:

- صدقت يا سند، والله تعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾.

رغد:

- صدق الله العظيم، وأين ستكون رحلتنا اليوم؟

الجد:

- في وادي «آش وبسـطة» حيث عاش أجدادنا بعد سـقوط دولتهم فرارًا من أذى النصارى القشتاليين.

دخـل الجدُّ والحفيدان إلى بوابةِ التاريخ، وحددَ منتصف القرن التاسـع الهجري على مسطرة الزمن، وعيَّن على الخريطة إسبانيا الحالية، وبالتحديد

مدينة وادي آش، ليجد الجميع أنفسهم في منطقة من الجبال الطينية سهلة النحت ويروا فيها عجبًا.

صاح سند:

- ما هذا يا جدي إنها كهوفٌ محفورةٌ في الجبال ولكنها في غاية الجمال.

رغد: كيف وصلَ المسلمون إلى هنا؟!

الجـد: جاءوا هنا فـرارًا بدينهم مـن بطش النصارى القشـتاليين الذين اضطهـدوا المسـلمين وقتلوا كثيـرًا منهم، لقد زاد عدد هـذه الكهوف على الألفين.

سـند: ولكن المسـلمين لم يسـيئوا إليهم حينما حكموهم طـوال ثمانية قرون، ولم يجبروا أحدًا من النصارى على ترك دينه أيكون هذا جزاءهم؟!

الجدُّ: يا بني إننا نعامل الناس بديننا وما يمليه علينا من أخلاقٍ.

رغد: وهل استسلم المسلمون للعيش هنا ولم يدافعوا عن حقوقهم؟

الجد: لا يا ابنتي؛ فلقد قاموا بعدة ثورات بعد سقوط غرناطة، مثل ثورة محمد بن أمية وغيرها.

تجول الجدُّ والحفيـدان داخل الكهوف، ليروا فيها إبداعًا معماريًا فريدًا، واسـتثمارًا للجبل في نحت بيوت تنطق بالجمال، مما أثر في أنفسهم فقال سند:

- ولكن يا جدِّي ما حول المسلمين إلى هذه الحال بعد عزِّ دولتهم؟

فتنهدَ الجدُّ قائلاً:

- إنهـا الفُرقـة والاختـلافُ يا سـند، لقد تنـازع الأمراء فيمـا بينهم حتى تقسـمت الدولة إلى دويلات صغيرةٍ تسـتعين كلٌّ منهـا بأعدائها لتكيد

لبقية الدويلات، وانتهز النصارى القشتاليون هذا التنازعَ حتى أسقطوا الدولة، واضطهدوا المسلمين وعذبوهم حتى أرغموهم على إخفاء دينهم وتغيير أسمائهم.

لقد كانت لقطة حزينة كل الحزن حين سلم أبو عبد الله محمد الثاني عشر آخر ملوك الأندلس المسلمين غرناطة لجيوش النصارى بقيادة «فرناندو وإيزابيلا» ملوك قشتالة وأراجون ونظر إلى مدينته ومهد صباه وهو يبكي فقالت له أمه:

ابك مثل النساء ملكًا مضاعًا لم تحافظ عليه مثل الرجال

❖ ❖ ❖

حضارة بغداد ١

بغداد أم الحضارة

فــي زيارة جديــدة إلى مختبر الجــدِّ العالم الدكتور/ فاضل دخل ســند ورغد وسلما على الجدِّ وقبَّلا يده وقال سند:

- كم نحن مدينون لك يا جدِّي؛ فبفضل الله ثم بوابة التاريخ التي اخترعتها اســتطعنا أن نعاصــر فتــرات من الزمــن كان للمســلمين فيها بطولات وحضارات، فجزاك الله عنَّا كل الخير.

فتبسم الجدُّ ورفع يديه إلى السماء قائلاً:

- الفضــلُ لله يا ولدي، وأنا أشــكر لكما أنكما تحرصــان على تعلُّم تاريخ هذه الأمة وحضارتها العريقة.

اقتربت رغد من الجدِّ وجلســت بجانبه ووضعت يدها الصغيرة على يده وقالت بحب:

- جدي الحبيب.

الجد: لبيك يا رغد.

رغــد: لقد حكى لنا معلم التاريخ عن حضارة بغــداد وتقدُّمها في العهد العباسي، وكيف كانت صاحبة الفضل في اطلاع العالم كله على الحضارات القديمة بفضل حركة الترجمة، وأريد أن أشاهد بنفسي معالم هذه الحضارة العريقة.

سند: نِعم ما اخترت يا رغد؛ وأنا أيضًا يا جدي أود أن أزور بغداد.

الجد: لا بأس هيا بنا.

دخل الثلاثة إلى بوابة التاريخ، وقام الجدُّ بتحديد منتصف القرن الثامن الميلادي، وحدد المكان على الخريطة ليطير الجميع إلى بغداد وقت بنائها.

سند: ما كل هؤلاء العمال والبناة وخبراء التخطيط يا جدِّي؟

الجد: نحن الآن في سـهل الخصيب بين الفرات ودجلة وهو المكان الذي اختاره أبو جعفر المنصور ليبني فيه بغداد عاصمة دولته، أما هؤلاء الذين تراهم فهم الذين كلَّفهم الخليفة المنصور ببناء بغداد.

رغد: يااااه؛ سـمعت أنهـم زادوا على مئة ألف بين بنّـاء وعامل ومهندس تخطيط.

الجـد: نعم؛ لقـد كان عملًا عظيمًا يتطلب تجميع الجهود، لقد اسـتغرق بناء بغداد أربع سـنوات، ولقد نمت حتى أصبحت أكبر عاصمة لأكبر دولة في العالم.

سـند: من فضلك يا جدي؛ اسـتخدم قـوس الحاجز الزمنـي لينقلنا إلى الأمام بضع سـنوات لنرى بغداد بعد عمرانها، فقد سمعت أن سكانها زادوا عن المليون، في الوقت الذي كان عدد سكان روما لا يزيد عن الثلاثين ألفًا، وسكان باريس لا يتجاوزون الخمسة آلاف.

نعم يا ولدي هذا ما سـنفعله ولكن في المـرة القادمة فقد داهمنا الوقت ولا بُدَّ من العودة للمختبر.

❖ ❖ ❖

حضارة بغداد ٢

بيت الحكمة في بغداد

عاد سند ورغد إلى جدِّهما ليستكملا الرحلة الجميلة في بغداد القديمة في القرن التاسع الميلادي، وقد وعدهما الجدُّ بأن يشاهدا عجيبة من عجائب بغداد مهد الحضارة الإسلامية في العصر العباسي.

دخل الحفيدان مع الجدِّ إلى بوابة التاريخ وقام الجدُّ بضبط مسطرة الزمان وتحديد المكان جيدًا على الخريطة ثم ضغط زرًا على جهاز قوس الحاجز الزمني ليجد الجميع أنفسهم في بغداد بعد أن امتلأت بشرًا وصل عددهم إلى المليون، وتوقف الجميع واستتروا خلف حاجز خشبي منحوت في غاية الإبداع ليستمعوا إلى أحد رجال الدولة وهو بين يدي أمير المؤمنين هارون الرشيد يقول:

- مولاي؛ في عهدكم المجيد أصبحت بغداد حاضرة العالم كله، وتمتعت الرعية بالسعادة والتقدم والرقي، وقد قمنا بإنشاء الدواوين كما أمرتنا، فأنشأنا ديوان التوقيع الذي تصدر عنه الرسائل الرسمية والإيرادات، وديوان النظر في المظالم وهو لإصلاح القضاء وإقرار العدل في دوائر الدولة، وقد دعونا كما أمرت كل العلماء والمفكرين إلى مجلسكم الموقر للإفادة من خبراتهم.

وحين سمع سند ذلك أراد أن يصيح إعجابًا فوضع الجدُّ يده على فمه قائلًا:

- أنسيت أنك في حضرة أمير المؤمنين الرشيد؟

ثم أردف قائلاً: تمسكوا بي سأتقدم قليلاً إلى الأمام بقوس الحاجز

الزمني لنصل إلى عصر المأمون.

لحظة ووجد الجميع أنفسهم أمام بيت الحكمة فقالت رغد:

- جدي ما هذا البناء العظيم؟

الجـد: إنه بيت الحكمـة، وهي القنطرة التي ربطـت الحضارات القديمة كحضارة الإغريق والحضارة الهندية والصينية القديمة وغيرها بالحضارات الحديثة، حيث أراد المأمون أن يسـتكمل ما بدأه جده أبو جعفر المنصور وأبـوه هارون الرشـيد لكـي تكون كل المعـارف القديمة بيـن يدي علماء عصره بلغـة واحدة هي لغة القرآن اللغة العربية الفصحى، فأصدر أوامره بجمع كل المخطوطات الموجودة في الدولة، وكل ما تستطيع أن تصل إليه يـد إدارته، وإحضـار غيرها من بيزنطة ومن الهند ومن الصين، ثم حشـدَ الحشود من المترجمين ليقوموا بنقلها من لغاتها إلى اللغة العربية.

سند:

- لقد صارت دار الحكمة بذلك أكبر مركز ثقافي في تاريخ البشرية.

الجد:

- صدقت يا سند.

رغد:

- ولكن أين ذهبت كل هذه الكتب يا جدي؟!

الجد حزينًا:

- آه يا حفيدتي؛ للأسـف الشـديد رماها التتار جميعًا في نهر دجلة حتى تغير لون المياه من الحبر، وذلك حينما احتلوا بغداد وقتلوا أهلها ودمروا حضارتها.

وهنا ارتفعت صفارة الإنذار فعادوا من جديد للمختبر.

الحلقة الثالثة عشرة

حضارة المسلمين الطبية ١

في زيارة جديدة لمختبر الجد العالم فاضل قالت رغد لجدِّها:

أمس كنت لدى طبيب الأسنان ولما خفت داعبني قائلًا:

- تشجعي ألا تحبين أن تكوني طبيبة بارعة مثل أجدادك المسلمين؟

فتعجبت يا جدي؛ فهل كان لأجدادنا حضارة طبية؟!

تبسم الجدُّ وقال:

- بالطبع يا رغد لقد كانت حضارة متكاملة لم تترك مجالاً إلا وأبدعت فيه.

فقال سند في شوق:

- وهل يمكن من خلال بوابة التاريخ يا جدي أن نزور إحدى مؤسسات حضارة المسلمين الطبية؟

الجد: بالتأكيد يا سند؛ هيا بنا.

سند ورغد: إلى أين يا جدي؟

الجد: سنزور معًا المارستان النوري؟

نظرت رغد إلى أخيها نظرة يفهمها ويعرف معناها فقال:

- اصبري يا رغد ولا تتعجلي فما أحلى مفاجآت جدِّي العظيم.

فتبسم الجدُّ وانطلق بهم عبر بوابة التاريخ إلى دمشق خلال القرن السادس الهجري وفي سنوات حكم السلطان العادل المجاهد نور الدين محمود زنكي، حيث هبطا بجوار مستشفى رائعة في تصميم مبانيها يحس الناظر إليها أنها قصر لأحد الملوك.

أخذ الجميع يتأمل المبنى العظيم وقبل أن يدخلوا قال سند:

- جدي؛ إنها مستشفى عظيمة وقد قلت لنا سنزور المارستان!

فضحك الجدُّ قائلاً:

- يا ولدي هذا الاسـم القديم الذي كان يطلـق على مكان تطبيب المرضى والجرحى وتخريج الأطباء، وكان يسـمى بيمارستان وهي كلمة فارسية تعني مكان المرضى، وهذا المبنى الرائع له قصة في بنائه.

رغد: وما هي يا جدي؟

الجد: حينما وقع أحد ملوك الصليبيين أسـيرًا في يد السلطان نور الدين استشـار أصحـاب الرأي فأشـاروا عليه بقبول الفديـة، وأن تخصص هذه الفدية لعلاج الجرحى والمرضى المسـلمين، فاستحسـن هـذا الرأي وقام ببنـاء هـذا الصرح العظيم، ثم قام الطبيب المسـلم بـدر الدين ابن قاضي بعلبك سنة ٦٣٧هـ بتطويره ليصير بهذه الهيئة التي ترونها.

سند: وكم تبلغ مساحته يا جدي؟

الجد: أكثر من عشـرة آلاف متر مربع، وقد بني على أروع ما يكون حتى ظهرت فيه روح العمارة الإسلامية المميزة، والآن هيا بنا لنتجول داخل هذا البناء العظيم.

ولكـن صفارة الإنذار انطلقت لتعلمهم بانتهاء الفترة المسـموح لهم بها بالوجـود في هذا المكان والزمان، فوعدهم الجد بعودة قريبة وعاد الجميع إلى المختبر وهم في غاية الفخر بحضارة أجدادنا المسلمين مصممين على أن يكونوا امتدادًا لها.

❖ ❖ ❖

حضارة المسلمين الطبية ٢

كانت أشواق سند ورغد تسابقهما إلى مختبر الجد العالم فاضل، فقد باتا يحلمان طول الأسبوع بما سوف يجدانه في مارستان نور الدين محمود بدمشق، فقد أبهرهما ما شاهداه من روعة المعمار والمساحة الكبيرة التي بُني عليها، كما أن فكرة بنائه بيَّنت لهم عظمة أجدادهم، وكيف أن تفكيرهم انصب على إسعاد البشر من حولهم، وتكريم الإنسان وهذه إحدى سمات الإسلام ديننا الجميل.

انطلق الجد والحفيدان مرة أخرى عبر بوابة التاريخ إلى دمشق حيث المارستان النوري بعد أن ارتدوا الزي الدمشقي القديم واستأذنوا في الدخول فرحب بهم الحارس.

تجول الثلاثة في أقسام المارستان فانبهروا بما شاهدوا وقال سند:

- انظر يا جدي؛ كأنها أحد المستشفيات الحديثة، فهذه قاعة الأمراض الباطنة وهذه قاعة الجراحة، وقسم للعيون يسمونه «الكحَّالة»، كما أنهم لم ينسوا أقسام الحمَّى وتجبير العظام وغيرها.

فرد الجد:

- والأعجب من ذلك يا سند نظام العمل، فأقسام الرجال غير أقسام النساء، حتى صرف الدواء ينقسم إلى قسمين: من يُداوى داخل المارستان ومن يصرف الدواء ليتناوله في بيته، حيث إن الصيدلية والتي يسمونها «شرانجاناه» لها مسؤول يسمى شيخ «شرانجاناه المارستان» .

فقالت رغد:

- أما أنا فأشد ما يعجبني يا جدي هذا المدير الفني المشرف على الأمور

الطبيــة الذي يســمونه «الســاعور»، وهــي كلمة ســريانية تعني متفقد المرضــى، فهو لا يكــف عن المرور على الأقســام ومتابعــة الأطباء في عملهــم، وزاد مــن عجبي أن هناك مديــرًا آخر وهو المديــر العام وكان يقال له ناظر المارســتان، وهي من الوظائف العالية التي كانت تحظى بالاحترام والتقدير من الســلطة والمجتمع، نحــن في دولة عظيمة بكل معنى الكلمة.

وانتقــل الجد وحفيــداه إلى مكان آخر بالمارســتان فوجــدوا طلابًا لهم زي يميزهم عن غيرهم وقد تحلقوا حول أســتاذ يُدرِّس لهم الطب فســمعوا الأستاذ الطبيب يقول:

- هــذا يا أحبابي هو الجانب النظري في تطبيب مرضى الصدر، وســوف ننتقل الآن إلى قاعة أمراض الصدر لتمارســوا ذلك عمليًا ولتتدربوا على تشخيص الداء ووصف الدواء.

فصاح سند:

- يا الله؛ إنه مستشفى تعليمي أيضًا!

فقال الجد:

- نعم يا سند؛ من هنا تخرَّج أعظم الأطباء في تاريخ البشرية، فابن النفيس مــن أطباء هذا المارســتان، وقد درس على يد العالــم الكبير «الدخوار» والعالم كله يعرف لابن النفيس فضله واكتشــافاته التي أضاءت الطريق لمن جاء بعده.

وهنــا انطلقت صفــارة الإنذار ليعــودوا جميعًا إلى مختبــر الجد فاضل فخوريــن بأمجاد الأجــداد، عاقدين العزم على مواصلــة الجهد لإعادة هذه الصورة الرائعة للحضارة الإسلامية.

دولة المرابطين ١

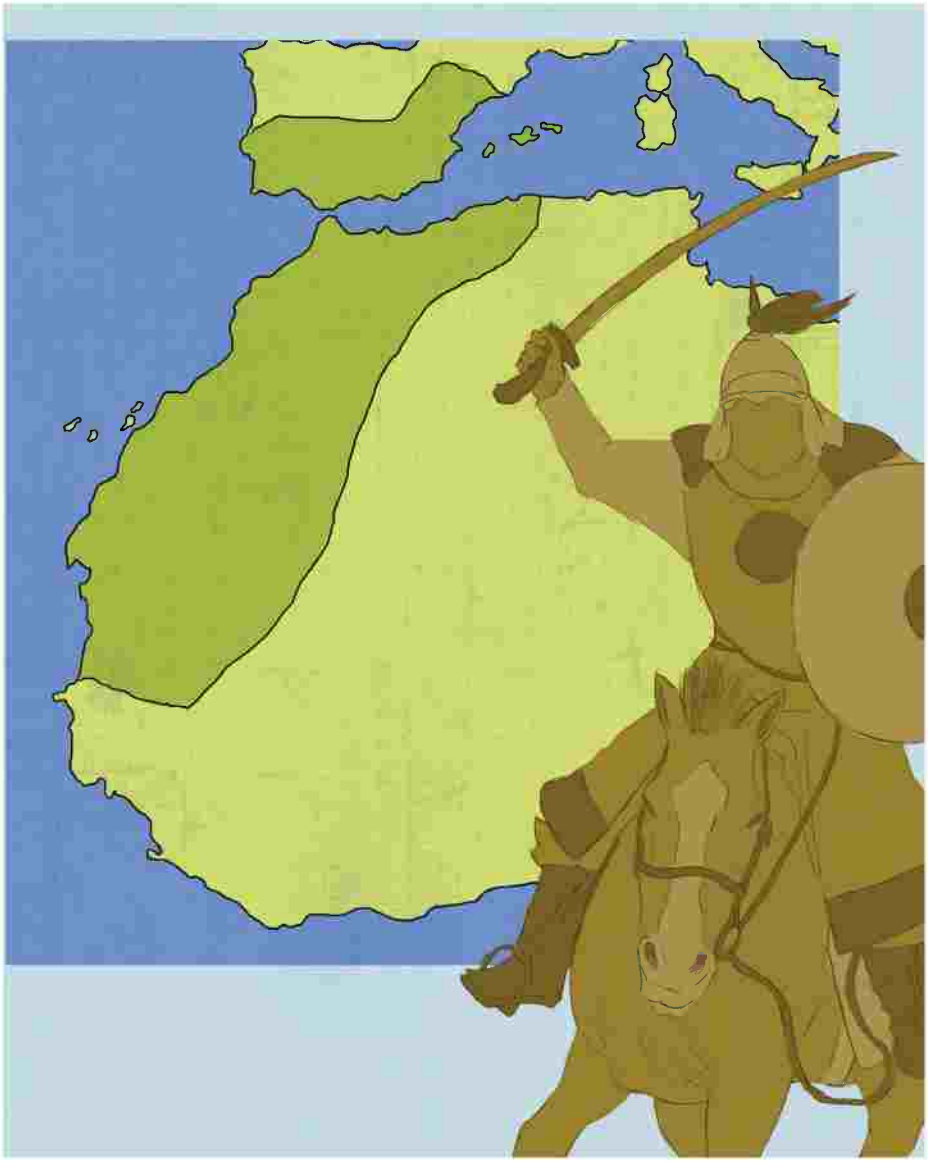

نشأة دولة المرابطين

كعادتهما كل أسبوع ذهب سند ورغد إلى مختبر الجد فاضل وهما في شوق لرحلة جديدة، فلما سلما عليه وسألا عن أحواله قالت رغد:

- جدي الحبيب، أمس حدثتني صديقتي من المغرب على حسابي في الفيسبوك عن دولة المرابطين، وقد اشتقت أن أعرف كثيرًا عن هذه الدولة العظيمة، فهل يمكننا أن نسافر إليها عبر بوابة التاريخ؟

فتنهد الجد قائلًا:

- آه يا حفيدتي إنه تاريخ مجيد لدولة عظيمة وقد أحسنتِ الاختيار.

ثم أشار إلى خزانة الملابس قائلًا:

- اذهبا فاستعدا بارتداء ملابس أهل موريتانيا في القرن الحادي عشر الميلادي.

استعد الجدُّ والحفيدان ودخلا إلى بوابة التاريخ، وحدد الجدُّ القرن الحادي عشر الميلادي، وعيَّن المكان على الخريطة، وهو مكان دولة موريتانيا الآن.

وفي ثوانٍ معدودة وجد الجميع أنفسهم في مجلس القائد/ يحيى بن إبراهيم قائد قبيلة الجدالة، حيث جلس يتشاور مع بعض المقربين في أمر أهمه فسمعوه يقول:

- لقد فسدت أخلاق القبيلة كما ترون وانتشر الفسق والبغي، وقد دعوت- كما اتفقنا - العالم الرباني/ عبد الله بن ياسين ليعلِّم الناس ويدعوهم إلى الله لعل الله يصلح على يديه أحوالهم.

فهمس سند لجده: من عبد الله بن ياسين هذا؟

فوضع الجدُّ يده على فم سند واصطحبهما في هدوء إلى خارج المجلس

ثم قال:

- إنه الرجل الذي سيصلح الله على يديه هذه القبيلة، فيتجهون جميعًا إلى الدعوة إلى الله والدفاع عن الإسـلام، تعالـوا معي ننتقل بقوس الحاجز الزمني قليلاً لنرى الأمور بعد وفاة هذا العالم الجليل.

فجأة وجد الجميع أنفسـهم في مجلس حاكم دولة المرابطين / أبو بكر بن عمر اللمتوني وقد أصبح حاكم الدولة بعد أن انضم وقبيلته للمرابطين، فاختاروه حاكمًا لهم، وسـمعوا هذا القائد العظيـم يتحدث إلى قائد عظيم يقف أمامه وهو ابن عمه يوسف بن تاشفين قائلًا:

- يا يوسـف قد علمنـا من صلاحك وقوتك ما علمنـا، وإني قد عزمت على نشـر دعوة الله في السنغال وما حولها، وقد أنبناك في إدارة أمر الدولة حتى نعود.

وهنا صاحت رغد:

- يتـرك الحكـم لابن عمه ويذهب لنشـر دعوة الإسـلام؟ إنهـا بحق دولة عظيمة، ولكن يا جدي ما مصير الدولة في عهد يوسف بن تاشفين؟

وهنـا دق جرس الإنذار ليعودوا إلى المختبر وليعدهم الجد برحلة أخرى لاستكمال التعرف على دولة المرابطين.

❖ ❖ ❖

دولة المرابطين ٢

اتساع دولة المرابطين

طار الجد مع حفيديه ليواصلوا رحلتهم مع دولة المرابطين العظيمة، وهبطوا على أرض المرابطين في وقت كان يوسف بن تاشفين قائد الدولة يقاتل القبائل التي أفسدت في الأرض من حول دولة المرابطين، فقبيلة «غمارة» من قبائل البربر قد ظهر فيها رجل يَدَّعي النبوة قد أضل الناس عن طريق الله، وكذلك قبيلة «برغواطة» ظهر فيها الشيء نفسه، رجل يَدَّعي النبوة فيفسد دين الناس، أما قبيلة «زناتة» ــ وهي من القبائل السنية في المنطقة ــ فقد فسد حالهم وانتشر فيهم السلب والنهب والمعاصي.

وجاءت الأخبار على ألسنة الناس بانتصار جيش المرابطين على هذه القبائل، واتسعت الدولة وبلغت من اتساعها أنها شملت السنغال وموريتانيا والجزائر والمغرب وتونس، وفرح الناس بإقامة دولة العدل.

وبينما الجد فاضل وحفيداه في مجلس الأمير يوسف بن تاشفين حدث أمر عظيم، فقد تنازل أبو بكر بن عمرو اللمتوني حاكم الدولة الذي كان مسافرًا لدعوة الناس لدين الله، لابن عمه ونائبه يوسف بن تاشفين عن حكم البلاد، وسمعوه وهو يقول له أمام العلماء وكبار رجال الدولة:

- أنت أحق بالحكم مني، لقد تركت لك دويلة صغيرة، وعدت لأجد دولة عظيمة، وجيشًا يزيد عدده عن المائة ألف، ووجدت مدنًا جديدة لم تكن موجودة على الأرض، وقد أسعدني ما سمعت من الناس من بنائك للمسجد قبل أي بناء في مدينة «مراكش»، وأنك كنت تحمل مع الناس الطين بنفسك اقتداءً برسولنا العظيم ﷺ، وقد نجحت في تأليف الناس من حولك على دين الله فأنت أحق بالملك مني.

وهنـا بكى جميع من في المجلس تأثرًا بعظمة الإسـلام التي ظهرت في رجال لا يعبدون إلا الله ويخلصون له ولا يغترون بالمناصب.

ثـم انتقل الثلاثة إلى موقف آخر حيث وقـف الجميع يودعون هذا القائد العظيـم أبـو بكر عمـر اللمتوني، حيث أصر على السـفر من جديد لنشـر الإسلام في إفريقيا.

وهنا قال سند:

- مـا أعظم هـذا القائد يا جدِّي؛ لقد قرأت في التاريخ أن الله وفقه لنشـر الإسلام في أكثر من خمس عشرة دولة في إفريقيا.

فقال الجد:

- صدقـت؛ رحم اللـه هذا المجاهد الشـهيد الذي كان إذا دعـا الناس إلى الجهـاد قـام له خمسـمائة ألف مقاتل مـن المقاتلين الأشـداء هذا غير المناصرين من النساء والشيوخ والأطفال.

وهنا انطلقت صفارة الإنذار ليعود الجميع إلى المختبر.

❖ ❖ ❖

الحلقة السابعة عشرة

يوسف بن تاشفين
أمير المسلمين وناصر الدين

عــاد الحفيدان إلــى جدهما لمواصلة الرحلة الرائعة مــع الدولة العظيمة دولة المرابطين في عهد يوسف بن تاشفين.

ففي عام ١٠٨٥م الموافق ٤٧٨ من الهجرة أصبح يوســف بن تاشــفين أميرًا على دولة تقترب مســاحتها من ثلث مساحة إفريقيا، ومع ذلك رفض أن يناديه الناس بأمير المؤمنين رغم ضعف الدولة العباســية التي كانت لا تملك إلا بغدادًا في ذلك الوقت.

فقــد كان رحمه اللــه يفقه دينه جيدًا، ولا يحب تمزيق وحدة المســلمين فاعتبر نفســه نائبًا لأمير المؤمنين في بغــداد، وكان يدعو له على المنابر، واكتفى رحمه الله بلقب أمير المسلمين وناصر الدين.

ولما ضعف المســلمون في الأندلس نتيجة الصــراع بين ملوك الطوائف الذين اســتعانوا بأعدائهم علــى إخوانهم فانتصر عليهــم النصارى بقيادة «ألفونســو الســادس» وفــرض عليهــم الجزيــة وأذلهم؛ لجأ بعــض ملوك الطوائف إلى يوسف بن تاشفين، هذا الرجل الذي كان أحرص على الجهاد والموت في سبيل الله من حرص أعداء المسلمين على الحياة.

أجاب يوسف بن تاشــفين الدعوة وخرج بجيش لا يزيد على سبعة آلاف جندي، وترك بقية جيشــه موزعًا بين أرجاء دولته الواســعة حتى لا يُطعن من ظهره.

ولما رأى ســند وأخته استعدادات الجيش لعبور مضيق جبل طارق طلبا من الجدِّ أن يكونا في صحبة هذا القائد العظيم.

فاســتخدم الجد زر التخفي الموجود في قــوس الحاجز الزمني، وركبوا الســفينة مع الجنود، وجلسوا بجوار أحد صواري السفن، ثم انطلق الجيش على بركة الله بعدما ذكَّرهم يوسف بن تاشفين بنيتهم من الخروج، وأنهم ما خرجوا إلا لنصرة دين الله والدفاع عن المسلمين.

وبينما الأسطول الإسلامي يعبر مضيق جبل طارق، إذ هاجت الرياح، وارتفعت الأمواج، وكادت السفن تغرق، وتمسكت رغد بأخيها، وتمسك أخوها سند بالجد الذي تشبث ببعض الحبال المربوطة في الصاري، وبينما هم كذلك إذ قام القائد يوسف يدعو الله ويسجد ويتضرع قائلًا:

- اللهم إن كنت تعلم أن في عبورنا هذا البحر خيرًا لنا وللمسلمين فسهّل علينا عبوره، وإن كنت تعلم غير ذلك فصعّبه علينا حتى لا نعبره.

فتسكن الريح، ويعبر الجيش.

وهنا ترتفع صفارة الإنذار ليعود الثلاثة لمختبر الجد فاضل من جديد.

❖ ❖ ❖

موقعة الزلاقة ١

عاد الحفيدان سند ورغد بشوق إلى مختبر الجد فاضل لمواصلة هذا الزحف لجيش المرابطين لقتال الصليبيين الذين كادوا يقضوا على دولة المسلمين في الأندلس، فاستجاب أمير المسلمين وناصر الدين يوسف بن تاشفين لاستغاثة أمراء المسلمين في الأندلس، وعبر إليهم ببضعة آلاف من جنوده.

دخل الجد والحفيدان إلى بوابة التاريخ، وحددوا الزمن والمكان وضغطوا زر الانتقال من قوس الحاجز الزمني ليجدوا أنفسهم مع جيش المسلمين بقيادة يوسف بن تاشفين، وقد انضم إليه المتطوعون من أهل الأندلس لما أحيا الله فيهم روح الجهاد بقدوم يوسف وجيشه إليهم.

اقترب سند بحذر من القائد العظيم يوسف وهو يقرأ رسالة ألفونسو إليه والتي أراد أن يخدعه بها فحدد موعدًا للقتال وهو يوم الاثنين تجنبًا لأعياد المسلمين واليهود والنصارى كما يدعي لكي يهجم على جيش المسلمين وهم على غير استعداد فيصيب منهم ما يريد، ولكن المعتمد بن عباد وهو أكبر الأمراء الأندلسيين الذين استنجدوا بيوسف بن تاشفين لصد هجمات النصارى بقيادة ألفونسو كشف الخديعة وحذر القائد يوسف منها، فلم يتأثر يوسف برسالة ألفونسو وجهَّز جيشه وجعلهم على أتم الاستعداد للقتال في أي وقت.

فعبَّر سند لأحد الجنود عن إعجابه بفطنة القائد فرد الجندي عليه قائلًا:

- يا بني إنه قائد رباني لقد أمرنا منذ قليل بقراءة سورة الأنفال، وأن نتدارسها فيما بيننا، وأمر العلماء أن يكونوا أئمة الناس في قيام الليل وأن يكثروا الدعاء، وأن يذكِّرُوهم بآداب القتال وبتقوى الله.

واقترب الجد ورغد ليسمعا حديث الجندي مع سند، فإذا بالقائد يوسف بن تاشفين يمر بنفسه على الخيام مناديًا بأعلى صوته:

- طوبى لمن أحرز الشهادة، ومَنْ بقي فله الأجر والغنيمة.

تأثرت رغد بما سمعت من قائد المسلمين العظيم، وطلبت من جدها أن يبيتوا مع جيش المسلمين حتى الصباح، ولكن صفارة الإنذار ارتفعت ليعودوا إلى المختبر مع وعد من الجد بمواصلة متابعة هذه الموقعة العظيمة موقعة الزلاقة.

❖ ❖ ❖

موقعة الزلاقة ٢

انتصار المسلمين في موقعة الزلاقة

واصل الجد العالم د/ فاضل رحلته مع حفيديه سند ورغد، وطاروا عبر بوابة التاريخ بقوس الحاجز الزمني، ليلحقوا بجيش المسلمين بقيادة يوسف بن تاشفين الذي تحرك نحو الزلاقة للقاء جيش ألفونسو الذي حشدت له الدول النصرانية أعدادًا لا حصر لها من الجنود ومعهم مدد عظيم من السلاح والعتاد.

وصل الجيش إلى الزلاقة وكانت الليلة ليلة الجمعة، وكان مع الجيش عدد من العلماء الصالحين يعظون الناس ويعطونهم القدوة في الجهاد في سبيل الله، وكان من بين هؤلاء العلماء العالم الجليل / أبو العباس أحمد بن رميلة القرطبي الذي راح يبشر القائد والجيش برؤيته للنبي ﷺ في منامه حيث قال له:

- يا ابن رميلة؛ إنكم منصورون اليوم وإنك ملاقينا.

فكبر المسلمون وفرحوا بالبشرى.

استأذن سند جده وأخته لينتقل إلى الخطوط الأمامية، وأن يتقدم حتى يصل إلى معسكر الأعداء، فوافق الجد على أن يحمل معه جهاز الدفاع الشخصي الذي يتصل بقوس الحاجز الزمني لينقله لمعسكر المسلمين إذا أحس بالخطر.

ووقف الجد ومعه رغد يتابعان الخطة العظيمة التي وضعها القائد يوسف، حيث قسَّم الجيش إلى ثلاث فرق:

الفرقــة الأولى في الأمام من الأندلســيين بقيادة المعتمــد بن عباد ومعه ملوك الأندلس.

الفرقة الثانية من جيش المرابطين بقيادة البطل داود بن عائشة.

الفرقة الثالثة بقية جيش المرابطين بقيادة يوســف بن تاشــفين يختبئ وراء أحــد التــلال ليخدع جيش ألفونســو فيظن أن الجيش هــو ما رآه أي فرقتين فقط.

ارتفعت صفارة قوس الحاجز الزمني لتخبر بعودة سند وانضمامه للجد ورغد، وقد عاد مسرعًا مع مخابرات الجيش الإسلامي ليخبروا القائد بتحرك جيش الأعداء وبدء المعركة.

هجم ألفونســو بما معه مــن جنود كثيفة على جيش الأندلســيين، وكان الهجوم مرعبًا مخيفًا، ولكن المســلمين ثبتوا حتى قُتل تحت ابن عباد ثلاثة من الخيول الأصيلة من شدة الحرب، وأصيب إصابة بالغة في رأسه وصلت إلى وجهه.

ثــم انضمت الفرقة الثانية بقيادة داود بن عائشــة إلى المعركة، فخففت الهجوم عن جيش الأندلســيين، ولكن اللعين ألفونســو كان قد قسَّم جيشه أيضًــا، فهجم بفرقة أخرى على فرقة داود وكاد يســتأصلهم، وهجم بعض جيش ألفونسو على خيام جيش الأندلسيين وفرت ملوكهم ولم يثبت إلا ابن عباد.

وفــي هذه اللحظــات الحرجة وقد ظــن الجميع أن جيش المســلمين قد انهزم انطلق يوســف بن تاشــفين ومعه جيش المرابطيــن الرئيس، ودخل المعركة بعد أن أنهك القتال جيش ألفونســو وجيش الأندلســيين، فحاصر جيش ألفونسو وأرسل من أحرق خيامه، وقتل حراسه.

واشتدت المعركة حتى قُتل من جيش النصارى الآلاف، وعاد المنهزمون

من ملوك الأندلس فانضموا إلى جيش المسلمين، فكانت الدائرة على جيش ألفونسو الذي لم ينجُ منه إلا بضع مئات وسال الدم في هذه المنطقة الصخرية حتى انزلقت أقدام الجنود والخيل من كثرة الدماء ولهذا سموها موقعة الزلاقة.

عاد الجد وحفيداه إلى المختبر وهم في غاية السعادة بنصر المسلمين في موقعة لم يشهد العالم لها مثيلًا.

❖ ❖ ❖

إقامة دولة المرابطين في الأندلس

عاد سند وأخته رغد إلى مختبر الجد فاضل يرجونه أن يستكملوا الرحلة مع هذا البطل العظيم يوسف بن تاشفين الذي استطاع أن يقيم دولة الإسلام في الأندلس وإفريقيا ليصبح حاكمًا لدولة تمتد من حدود فرنسا إلى أواسط إفريقيا ترفرف عليها راية التوحيد.

استجاب الجد لرجاء الحفيدين وأمرهما بالاستعداد ودخل الجميع إلى بوابة التاريخ، وحدد الجد المكان والزمان ثم طاروا ليهبطوا على أرض الأندلس، حيث اجتمع يوسف بن تاشفين أمير المسلمين وناصر الدين بالعلماء وأهل المشورة ليعرض عليهم أمرًا خطيرًا فقال:

- تعلمون أنِّي لم أطمع في حكم الأندلس، وأنني عبرت إليها مرتين قبل ذلك مع جيش المرابطين العظيم نصرة لدين الله، واستجابة لاستغاثات المسلمين المتكررة، فنصرنا الله عز وجل بفضله على أعدائنا من النصارى المتغطرسين، ولقد عففنا عن الحكم والغنائم، وفضلنا العودة إلى بلادنا، ولكن ملوك الطوائف أفسدوا ما قدم جنودنا من التضحيات، وهدموا ما بنينا من المجد بموالاتهم لأعداء الله والاستنصار بهم تارة وبقتالهم بعضهم بعضًا تارةً أخرى.

وإني عزمت بعون الله على جمع كل هذه الدويلات الضعيفة تحت راية دولة واحدة، فالاتحاد قوة والتفرق ضعف، وقد أشاع ملوك الطوائف أن طاعتي ليست واجبة وقد سبقت خيانتهم لي في أثناء حصاري للنصارى في حصن لبيط ووقعت في يدي رسائلهم التي حرَّضوا فيها الأعداء على جيش المسلمين، وكما تعلمون أني أرسلت وفدًا من العلماء إلى أمير المؤمنين في بغداد ليفوضني في حكم هذه البلاد، وقد عادوا

إلــيَّ بتفويضه الذي أعرضه عليكم الآن، كما جاءوني بفتوى قطب علماء المشرق أبي حامد الغزالي وتأييده لجهودنا في توحيد كلمة المسلمين، كما جاءوني بفتوى وتأييد العالم الجليل أبي بكر الطرطوشــي من ثغر الإسكندرية والذي أوصانا فيه بالحكم وفقًا لكتاب الله.

فما رأيكم دام رشدكم؟

صاح الجد والحفيدان مع من في المجلس:

- كلنا معــك حتى نوحد بلاد المســلمين في الأندلس وقــد بايعناك لحكم المسلمين والقضاء على الفتنة والتنازع.

ثم نظر سند إلى الجد وقال:

- كم عاش هذا البطل يا جدي بعد أن أقام دولته العظيمة التي جمعت بين أجزاء من إفريقيا وأوروبا، ونصر الإسلام ووحد كلمة المسلمين؟

فتبسم الجد وقال وهو يشعر بالعزة:

- عــاش هــذا البطل العظيم حتــى بلغ من العمــر مائة عــام، وكانت مدة حكمه سبعة وأربعين عامًا، حكم فيها البلاد بالعدل وقرب العلماء وعمل بمشورتهم وتوفى رحمه الله سنة ٥٠٠ من الهجرة المباركة.

رحم الله يوسف بن تاشفين أمير المسلمين وناصر الدين.

❖ ❖ ❖

الحلقة الحادية والعشرون

موقعة القادسية ١

في زيارة جديدة لمختبر الجد فاضل طلبت رغد من جدها أن تنتقل عبر بوابة الزمن لترى ما حدث في موقعة القادسية؛ لأن معلم التاريخ قد شوَّقها بما حكاه عن بطولات المسلمين في هذه الموقعة العظيمة.

أيَّد سند الفكرة وانضم إلى أخته في طلبها، ووافق الجد فاضل مُرحِّبًا، ودخل الجميع إلى بوابة التاريخ، وحددوا شهر شعبان في السنة الخامسة عشرة من الهجرة النبوية الشريفة، وحددوا مكان الموقعة ثم انطلقوا بقوس الحاجز الزمني ليجدوا أنفسهم في معسكر المسلمين عند قصر قديس.

سأل سند جدَّه:

- سمعت أحد الجنود يدعو بالشفاء للقائد سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فهل سيقود المسلمين وهو مريض؟

فأجاب الجد:

- نعم يا بني لقد أصابته دمامل كبيرة في ظهره تمنعه من ركوب الخيل وقد وضعت له وسادة فوق سطح قصر قديس يضع صدره عليها ليطل برأسه ويرى ميدان المعركة ويوجه المسلمين عن طريق نائبه الذي اختاره وهو خالد بن عرفطة.

وقالت رغد وقد عادت بعد اقترابها من القصر:

- إنه قائد عظيم بحق، لقد أمر بالقبض على كلِّ المشاغبين الذين اعترضوا على اختياره لهذا النائب وحبسهم في القصر؛ لأن هذا ليس وقت الاختلاف ولكن وقت السمع والطاعة، فالمسلمون على أبواب المعركة والخلاف يؤدي إلى الهزيمة.

ثم قال الجدُّ هيا بنا نتقدم إلى الأمام لنسمع الخطباء الذين أمرهم القائد

أن ينتشروا بين الجند ليحفزوهم للقتال فالظهر قد اقترب وقد عبر الفرس النهـر للقاء المسـلمين، وقد وضع القائـد العظيم خطته وأمر المسـلمين باتباعها فقال:

- «الزموا مواقفكم لا تحركوا شيئًا حتى تُصَلُّوا الظهر، فإذا صلَّيتم الظهر فإني مُكبر تكبيرة، فإذا كبرت فكبروا، ثم شدوا شُسُوعَ نِعَالِكُم، واعلموا أن التكبير لم يُعْطَه أحدٌ من قبلكم، وإنما أُعْطِيَ لكم لتأييدكم.

فإذا كبرت التكبيرة الثانية فكبروا وتهيئوا واستكملوا عُدتكم؛ فإذا كبرت الثالثة فكبروا، وليخرج فرسـانكم وليخرج أهل النجدة والبلاء، ولْيُنشِّطْ فرسانُكم الناسَ على القتال؛ ليبارزوا ويطاردوا.

فـإذا كبرت الرابعة فشـدوا النواجذ علـى الأضراس، واحملـوا وازحفوا جميعًا حتى تخالطوا عدوكم، وقولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله».

وهنـا انطلقت صفارة الإنـذار لتعلن ضرورة العودة إلـى المختبر، وقد وعدهم الجدُّ بالعودة لاستكمال هذه المعركة العظيمة.

❖ ❖ ❖

موقعة القادسية ٢

عاد الجد الدكتور فاضل والحفيدان سند ورغد عبر بوابة التاريخ ليتابعوا جيش المسلمين في موقعة القادسية، وكان اليوم الأول قد انتهى بمقتل ألفين من الفرس واستشهاد خمسمائة من المسلمين، وقد تحمل المسلمون من العناء كثيرًا بسبب وجود الفيلة التي بلغ عددها ٣٣ فيلًا.

ولم يستطع المسلمون إحراز أي تقدم إلا بعد أن هجمت قوات فدائية من قبيلة تميم ونجحت في قطع التوابيت المربوطة على ظهور الفيلة والتي يقودها منها أصحابها ففرت الفيلة من أرض المعركة لينشغل الفرس بإصلاح التوابيت فيمنع ذلك ظهورها في اليوم الثاني.

تقدم سند إلى جده وأخته مبتسمًا بعد أن استأذنهما في جولة طائرة بقوس الحاجز الزمني يتابع خلالها المدد الذي أرسله سيدنا أبو عبيدة ابن الجراح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى إخوانه من المسلمين في القادسية بأمر من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد انتصار المسلمين في اليرموك فقال سند:

- أبشروا فقد رأيت بنفسي ستة آلاف من أبطال المسلمين يتوجهون إلى هنا مددًا للمسلمين ومعهم القعقاع بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي قال فيه سيدنا أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لا يُهزم جيش فيه القعقاع بن عمرو، وأن وجوده في الجيش خير من ألف رجل.

وفي الصباح نادى الجد على سند ورغد قائلاً:

- الله أكبر؛ تعالوا اشهدوا معي إبداع المسلمين في الحرب، إن القعقاع

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قـد وصل ومعه ألف فارس، وها هو يقسِّـمها إلى مئات يدخلون على المسـلمين مئـة بعد أخرى وهـم يكبرون حتى يشـدوا من أزرهم ويوقعوا الرعب في نفوس الفرس.

فقالت رغد:

- إنـه منظـر رائع، ولكن ما هذا يا جدي؟ إنهـم لا يخلدون للراحة بعد أن قطعوا هذه المسافات، فها هو سيدنا القعقاع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يطلب المبارزة من جيش الفرس، فيا له من بطل عظيم.

وقف الثلاثة يشاهدون المبارزة التي أسقطت كثيرًا من قواد الفرس قتلى والمسـلمون يكبِّرون وهم يكبِّرون معهم ولكـن صفارة الإنذار علا صوتها ليخبرهم بضرورة العودة إلى المختبر.

❖ ❖ ❖

موقعة القادسية ٣

عاد الثلاثي المغامر من جديد إلى أرض المعركة - الجد العالم د. فاضل ومعه حفيداه سـند ورغد - ليتابعوا أحداث موقعة القادسية، حيث تشوقوا لرؤية بطولات المسلمين التي أبهرتهم.

الجد فاضل:

- انظـروا لقد اختفت الفيلة ولم تظهر اليـوم وذلك بفضل الله ثم ما أقدم عليه المسـلمون من قطع أحزمة توابيت القيادة الموجودة فوق ظهرها فوقعت التوابيت فانشغلوا اليوم بإصلاحها.

سـند: وهذا بطل من أبطال المسلمين يتقدم للمبارزة إنه البطل علباء بن جحش، يا الله؛ إنه يقاتل بشجاعة نادرة.

رغد: لقد التحم مع القائد الفارسـي وطعـن كلٌّ منهما الآخر، رحمة الله عليه إنه يحمل أمعاءه بيده ويتقدم ليقاتل فيسقط شهيدًا وهو يقول:

أرجـو بها من ربنا الثوابا قد كنت ممن يحسن الضرابا

الجد فاضل:

- وهذه الخنساء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، انظروا كيف تشجِّع أبناءها على قتال الفرس!

سند: يا الله؛ إنهم يخرجون للمبارزة الواحد بعد الآخر فيقتلون من جنود الفرس ما يقتلون قبل أن يستشهدوا!

رغد: أتسمعون ما تقول بعد مقتلهم؟

إنها تسترجع وتقول الحمد لله الذي شرفني بقتلهم!

ولكـن يا جدي من هذا البطل الذي يخترق صفوف العدو طلبًا للشـهادة

حتى كاد يصل لسرير رستم قائد الفرس، فقتل من قتل من حراسه قبل أن ينال الشهادة؟

الجد فاضل:

- إنه البطل سواد بن مالك رحمة الله عليه.

سند:

- اللهم تقبَّل شهادته وبيِّض صفحته وتقبَّل كل شهداء المسلمين الأبطال.

وهنا انطلقت صفارة الإنذار لتعلن أوان العودة للمختبر.

❖ ❖ ❖

موقعة القادسية ٤

ومرة أخرى على شـوق عظيـم يعود الجد وحفيداه إلـى أرض المعركة ليتابعوا أمجاد المسـلمين في هذه الموقعة العظيمة، وما إن وصلوا لأرض القادسية حتى وجدوا البطل القعقاع بن عمر يصول ويجول مبارزًا الفرس فقد طلب المبارزة ثلاثين مرة وكلما خرج له فارس من جيش الفُرس قتله القعقاع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثم هجم جيش المسـلمين بقوة على جيش الفـرس وظل القتال في هذا اليوم من الظهر إلى منتصف الليل دون انقطاع والمغامرون الثلاثة يتابعون بطولات المسلمين.

الجد فاضل: سبحان الله ما أذكى سيدنا عمر بن الخطاب فيما فعله، إنها حيلة رائعة لقد أرسـل جوائز من الخيل والسيوف ليمنحها القائد سعد بن أبي وقاص للمتميزين من الأبطال، وقد أشـعل ذلك حماس الجند في جيش المسلمين.

سـند: فكرة رائعة، ولكن مَن هذا البطل الذي يصول ويجول على فرسـه ويقتل كثيرًا من جنود الفرس، إن الجميع يتعجبون منه حتى القائد سـعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي يعرف هذه الطريقة في القتال ويعرف صاحبها المسجون في قصر قديس.

رغد: لقد شـاهدتُ زوجة سيدنا سـعد وقد اجتهدت برأيها وفكَّت أغلال هـذا البطل أبي محجن الثقفي وأعطته البلقاء فرس سـيدنا سـعد حتى لا تحرم جيش المسـلمين مـن بطولات هذا الفارس، وذلـك بعد أن وعدها أن يعود للقيد آخر المعركة ويعيد الفرس مكانها.

الجد فاضل: تعالوا معي وانظروا ماذا يفعل القائد العام لجيش المسلمين

سيدنا سعد بن أبي وقاص، لقد أمر بحمل الشهداء لدفنهم بعيدًا عن أرض المعركة، فلا يظهر في اليوم التالي إلا قتلى الفرس في ميدان المعركة، فقد كان من عاداتهم الدينية أن يضعوا قتلاهم على قمم الجبال لتأكلها الطير، ولكنهم لم يستطيعوا فعل ذلك لكثرة قتلاهم حيث بلغوا في هذا اليوم عشرة آلاف قتيل، وبهذا تضعف الروح المعنوية للفرس، حيث يبدو لهم أن القتلى كلهم من جانبهم وليس هناك قتلى من المسلمين، فيا لها من عبقرية.

وهنا انطلقت صفارة الإنذار ليعودوا إلى المختبر.

القادسية ٥

في شـوق إلى متابعة بطولات المسـلمين في القادسـية عاد المغامرون الثلاثة إلى أرض المعركة ليشـهدوا عظمة أجدادهم وإخلاصهم في الجهاد في سبيل الله.

الجد فاضل: سبحان الله المسـلمون يقاتلون الفرس منذ أربع وعشرين ساعة لم ينم أيٌّ من الفريقين، فلم ينقطع القتال إلا ساعة واحدة بعد صلاة العشاء، ثم استمر حتى الصباح.

سـند: يبدو أنها ليلة النصر التي سـماها المؤرخون «ليلة الهرير» وهي التي تحقق فيها وبعدها النصر، ها هو سـيدنا سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يتابع المعركة مـن فوق حصن قديـس ولا يجد من الجنود من يأتيـه بالخبر فكل الجنود اشتركوا في القتال وهو لا يكاد يرى كل ما في الميدان.

رغد: انظروا إلى سيدنا القعقاع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لقد قدر الموقف تقديرًا صحيحًا وها هو يقف وينادي في المسلمين:

- إن الدَّبـرة اليـوم على من بـدأ القـوم (أي أن الهزيمة على مـن بدأ في التخاذل من الفريقين) فاصبروا ساعة واحملوا على عدوكم فإنما النصر مع الصبر فآثروا الصبر على الجزع.

الجـد فاضل: رضي الله عـن القعقاع، إنه ينفذ مع إخوانـه الخطة التي رسـمها، انظـروا ؛ إنه أخذ قبيلة تميم الباسـلة ومعها مـن انضم إليها من أفضل الفرسـان وانطلق يدكُّ بهم قلب الجيش الفارسـي ليفصل ميسـرة الجيش عنها وها هو يحاول الوصول إلى رسـتم قائد الفرس ليقضي عليه فيهزم جيش الفرس بعد مقتل قائده.

سـند: الله أكبر؛ خطـة رائعة، فقبائل بني قحطـان اليمنية تضغط على ميمنة الفرس، وقبيلة قيس على الميسرة، حتى لا يحاصروا جيش المسلمين من الخلف.

رغد: انظر يا جدي لقد وصل مدد المسلمين من الشام وكلهم قوة وحيوية وشوق لنيل النصر أو الشهادة ها هم يندفعون كالسيل لنصر إخوانهم.

وهنا انطلقت صفارة الإنذار ليعود المغامرون إلى المختبر.

❖ ❖ ❖

الحلقة القادسية ٦

طـار الجـدُّ فاضل ومعه حفيـداه إلى أرض المعركة مـن جديد ليتابعوا نصرَ المسلمين على الفرسِ الذي بدأت معالمه تظهر.

سند:

- الحمد لله لقد زاد المسـلمون قوة وحماسـة بوصول المدد المتبقي من الشـام، وها هم يصلون إلى طائرة رستم وهي المقصورة التي صنعوها له لتحميه ويتابع من فوقها الجيش.

الجد فاضل:

- نعم يا سـند وقد أيدهم اللـه بريح الدبور التي هبـت في عكس الاتجاه المعتاد فذرت الرمل في أعين الفرس فهي جنود من عند الله.

رغد:

- يا الله ؛ ما هذا ؟ إن البطل هلال بن عُلَّفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد كشـف رسـتم الذي اختبـأ وراء البغال التي تحمـل مدد الجيش، انظروا إنـه يتتبعه وينزل وراءه النهر ويجره من قدمه ويخرجه ويقتله، وها هو يقف على طائرة رستم ويعلن للمسلمين أنه قتل رستم.

سند:

- إن مقتل رسـتم قد تسـبب في انهيار معنويات جيـش الفرس، وقد بدأ الجالينيوس والهرمزان الانسحاب بما تبقى من الجيش، وها هم الجنود يلقون بأنفسهم في نهر العتيق.

الجد فاضل:

- الحمد لله صدق وعده ونصر عبده وهزم الفرس وحده، انظروا ؛ إن عدد القتلـى في هذا اليوم من الفرس قد بلغ الثلاثين ألفًا، ليزداد عدد قتلاهم منذ بدء القتال عن أربعين ألف مقاتل، أما المسلمون فقدِ استشهد منهم ثمانية آلاف وخمسمائة مجاهد.

رغد:

- حقًا إن الإسـلام لم يصل إلينا إلا على عظام الفرسان وجماجمهم، رحم الله أجدادنا لقد قدموا لأنفسهم عند الله أسباب الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة، لقد كانت موقعة عظيمة.

وهنـا دق جرس الإنذار ليعودوا إلى المختبر وكلهم عزة وفخر بأجدادهم مع وعد من الجدِّ فاضل برحلة جديدة.

❖ ❖ ❖

نهاوند فتح الفتوح

من جديد أقدم الحفيدان سند ورغد مع جدهما الدكتور فاضل الذي عبر بهما من خلال بوابة التاريخ على مغامرة جديدة يتعرفون من خلالها على موقعة مهمة في التاريخ الإسلامي كانت نهاية لإمبراطورية الفرس.

قام الجدُّ بتحديد سنة ٢١ من الهجرة النبوية المباركة وتحديد مكان الموقعة ثم انطلقوا جميعًا حتى هبطوا بقوس الحاجز الزمني بالقرب من جيش الفرس الذي جمعه ملكهم بمكاتبة الأمراء في السند وخراسان حتى كانوا في نهاوند.

قال سند مشيرًا إلى جيش الفرس:

- هذا هو الجيش الفارسي الذي أعد المسلمون العدة لقتاله، واختار أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قائدًا مسلمًا شجاعًا ليقود الجيش المسلم في هذه الموقعة المهمة، لقد اختار لقيادة الجيش النعمان بن مقرن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لإقدامه ومهارته.

فردت رغد:

- إنها بركة الشورى يا سند فقد استشار أمير المؤمنين كبار الصحابة وفيهم طلحة وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين فأشاروا عليه بأن يرسل إليهم جيش الكوفة ويمده بمدد من البصرة.

وقال الجدُّ:

- انظروا لقد قدم القائد المغوار النعمان بن مقرن ومعه جيشه الذي بلغ ثلاثين ألفًا ، وقد قدم عليه مدد المدينة وفيهم المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد قسَّم القائد جيشه فجعل على مقدمته نعيم بن مقرن وعلى مجنبتيه حذيفة بن اليمان وسويد بن مقرن، وعلى المجردة القعقاع بن عمرو، وعلى الساقة مجاشع بن مسعود.

وهذا من عدة النصر التخطيط والتنظيم.

ولم يستطع المغامرون أن يستكملوا بقية الموقعة فقد ارتفع جرس الإنذار فعادوا إلى المختبر.

❖ ❖ ❖

نهاوند فتح الفتوح ٢

واصل المغامرون الثلاثة رحلتهم عبر بوابة الزمن وهم في غاية الشوق ليكملوا الاطلاع على النصر العظيم في موقعة نهاوند التي سميت بفتح الفتوح؛ لأنها أنهت إمبراطورية فارس التي وقفت ضد حرية الناس في اختيار دينهم.

قال الدكتور فاضل:

- هـا هو النعمان قد أشعل القتال بمجرد نزول الجيش فقاتل الفرس ليومين حتى اضطرهم جيش المسلمين إلى دخول خنادقهم وحصونهم، ولكن الأمر اشتد على المسلمين بسبب تحصن الفرس فلا يخرجون إلى القتال إلا بإرادتهم.

سند:

- ولهـذا أراه بدأ يعد لتنفيذ الخطة التي أشار بهـا طليحة بن خويلد بأن يرسل خيلاً تستدرجهم للقتال، حتى إذا ابتعدوا عن خنادقهم طوقهم المسلمون وأعملوا فيهم السلاح.

رغد:

- ونِعم من اختار لقيادة هذه السرية التي تكيد للفرس، إنه القائد المغوار والفارس الرائع القعقاع بن عمرو الذي خدع الفرس بفراره أمامهم حتى طمعوا في المسلمين وابتعدوا عن الحصون فلم يبق إلا حراسها.

الجد فاضل:

- انظروا إن المسلمين يحتمون من رمي الفرس ويسألون قائدهم النعمان أن يـأذن لهم في القتال، وهو يصبرهم فقد كان ينتظر أحب السـاعات

إلى الرسول ﷺ في القتال وهي وقت الزوال.

سند:

- الحمد لله؛ ها هو يمر على الجند يحفزهم ويأمرهم ألا يبدأ أحد منهم القتال إلا بعد أن يكبر التكبيرة الثالثة.

رغد:

- نعم؛ وها هم الجند يبكون تأثرًا بدعائه حيث قال:

اللهم أعزز دينك، وانصر عبادك، واجعل النعمان أول شهيد اليوم على إعزاز دينك ونصر عبادك.

الجد فاضل:

- إن من عظمة قيادة هذا الرجل أنه عدَّ للمسلمين سبعًا يتولون القيادة بعده إذا قُتل، أولهم الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان وآخرهم المغيرة بن شعبة رضي الله عنهم بالترتيب كلما قُتل أحدهم تولى الذي بعده.

وها هو النصر يتحقق ويقتل المسلمون من الفرس ما يزيد على المائة ألف وينال هذا القائد العظيم الشهادة كما تمناها ويتحقق للمسلمين فتح الفتوح في موقعة نهاوند.

❖ ❖ ❖

موقعة موهاكس ١

وصـل الحفيدان للمختبر وجلسـا أمام جدهما بعد أن سـلما عليه وقبَّلا يده، ولاحظ الجد بعد دقائق شرود سند فسأله عن سرِّ شرود ذهنه فقال:

- قرأت يا جدِّي عن موقعة عجيبة غريبة اسمها موهاكس وأتمنى أن نطير إليها عبر بوابة التاريخ فنشـاهدها عـن قرب فإنني لم أرَ لها مثيلًا فيما قرأت من المواقع الحربية.

رحَّـب الجدُّ ورحبت رغد بطلب سـند ودخلوا جميعًا إلـى بوابة التاريخ وحـددوا التاريـخ والمـكان، حيث دولـة المجـر بأوربا التي كانـت راعية الصليبية في ذلك العهد وطـاروا بقوس الحاجز الزمني حيث قصر «فيلاد يسلاف الثاني» ملك المجر، واختفوا وراء أحد الأعمدة وهم يشاهدون رسول السلطان العثماني سـليمان القانوني وهو يطالب الملك في عزة وإباء بأن يدفع الجزية المقررة عليه.

الجـد: انظروا لثبـات هذا الرجـل المخلص، إنه لم يضطـرب ولم يفزع والملـك يأمـر بقتله رغم مخالفة ذلـك لما تعاهدت عليـه الملوك من إكرام الرسل أيًا كانت الرسالة.

رغد: إنهم يسوقونه للقتل يا جدي وهو يبتسم ولا يبالي!!

سـند: ومـا زال يهددهـم ويتوعدهم، فيا لـه من شـجاع ومخلص وهب روحه لله وفجأة يلتفت الحراس إلى أصوات المغامرين الثلاثة فيبادرونهم ليمسـكوهم فيسـارع الجـدُّ بالضغط علـى زر الانتقال بالحاجـز الزمني لينقلهم إلى قصر السـلطان العثماني ليتابعوا ما سيفعله عندما يأتيه خبر قتل رسوله من قبل ملك المجر.

وهنـا انطلقت صفارة الإنذار معلنة انتهاء الوقت المسـموح به وضرورة العودة إلى المختبر.

موهاكس ٢

سارع الجدُّ والحفيدان إلى المختبر يوم العطلة كما تعاهدوا لكي يتابعوا الأحداث الخطيرة لموقعة موهاكس، ودخلوا بوابة التاريخ وحددوا الزمان والمكان حيث قصر السلطان العثماني سليمان القانوني فوجدوا الوزير يقف أمامه ليُعلمه الخبر.

الوزير:

- مولاي السلطان؛ لقد غدر ملك المجر فلاديسلاف، ورفض دفع الجزية بل وقام بقتل رسولكم الذي طالبه بدفع الجزية، وما جرأه على ذلك إلا بابا الفاتيكان الذي وعده أن يجمع له الجيوش والأموال لقتالنا.

السلطان سليمان:

- قد أساءوا إلى أنفسهم أيها الوزير، فلتجهز جيشًا قوامه مائة ألف جندي، وثلاثمائة وخمسون مدفعًا، وثمانمائة سفينة، ولنفتح كل ما في طريقنا من القلاع حتى نؤمن طريق الجيش ذهابًا وإيابًا.

الوزير:

- ولكن يا مولاي..

السلطان سليمان:

- أعرف ماذا تعني، علمت قبل أن تدخل عليَّ من قائد فرقة الاستطلاع أن جيشهم بلغ تعداده ٢٠٠ ألف فارس منهم ٣٥ ألفًا مقنعين بالحديد، ولكننا لا ننتصر على عدونا بعدد ولا عدة، ولكن ننتصر بطاعتنا لله ومعصيتهم إياه.

سار الجد والحفيدان مع الجيش الذي قاده السلطان سليمان بنفسه

فقطع بالجيش مسـافة ألـف كيلومتر وعبـر نهر الطولة الشـهير وانتظر فـي وادي موهاكس وشـرق رومانيـا منتظرًا جيوش أوروبـا بقيادة الملك فلاديسلاف وبابا الفاتيكان بنفسه.

اجتمع السـلطان سليمان بقادة الجند لوضع خطة الحرب وكان أكثر ما يهمهم:

كيف يتصرفون مع الفرسـان المقنعين بالحديد فلا تؤثر فيهم السيوف ولا السهام؟

أراد المغامـرون أن يحضروا مجلـس الحرب ولكن صفارة الإنذار أعلنت ضرورة العودة للمختبر.

❖ ❖ ❖

موهاكس ٣

طـار المغامـرون الثلاثـة الجـدُّ والحفيدان مـن جديد لمتابعـة موقعة موهاكس العجيبة بين الجيش العثماني بقيادة السـلطان البطل سـليمان القانونـي وبين جيوش أوربا الصليبية بقيادة ملك المجر ومعه مبعوث بابا الفاتيكان والأساقفة.

انتقـل المغامـرون بقـوس الحاجز الزمنـي إلى غرفة المشـورة بخيمة السلطان سليمان الذي جمع قادته ليضع معهم خطة الحرب.

السلطان سليمان:

- سـمعت آراءكم وكلها حكيمة وتصنع النصر بإذن الله، وهذا ملخص ما اتفقنا عليه:
- سنجعل تشكيلة الجيش على هيئة ثلاثة صفوف بطول عشرة كيلومترات.
- وسيكون الإنكشارية في الصفوف الأولى فهم صفوة الجيش ويليهم في الصف الثاني الفرسان الخفيفة والمتطوعون والمشاة.
- وستبقى المدفعية معي في الصف الأخير.
- لكـي يقع جيـش الصليبيين في الفـخ أريد منك يا قائد الإنكشـارية أن تقاتل بجنودك قتالاً شديدًا وتصبروا لمدة ساعة، ثم تفرون من الأجناب وليس للخلف.
- وكذلك أنت يا قائد الفرسان الخفيفة يكون فراركم من الأجناب وتفتحوا الباب على مصراعيه لملك المجر وفرسـانه المقنعين وسـوف نحسـن نحن ضيافتهم بطريقتنا.
- انتهت الجلسـة؛ انصرفوا راشدين لتُعلموا جنودكم بالخطة بدقة وحذار

من الخطأ، والله معكم ولن يتركم أعمالكم وما النصر إلا من عند الله.

استمع المغامرون إلى الخطة وهم في ذهول من عبقرية السلطان وقادته وتساءلوا بينهم عن كرم الضيافة الذي أعده السلطان سليمان لجيوش أوربا، وهنا انطلقت صفارة الإنذار لتخبرهم بانتهاء الوقت المحدد وضرورة العودة للمختبر.

❖ ❖ ❖

موهاكس ٤

من جديد أقبل المغامرون في شوق لحضور موقعة موهاكس بين الجيش العثماني بقيادة السلطان العبقري سليمان وجيوش أوربا بقيادة ملك المجر، ومما زاد من شوقهم أنهم انصرفوا في المرة السابقة بعد حضور مجلس الحرب في غرفة المشورة وبدأ المسلمون يصطفون للجهاد.

انتقل المغامرون إلى أرض المعركة ووقفوا على أحد التلال قريبًا من وادي موهاكس الذي عسكر فيه المسلمون استعدادًا للمعركة، وقفوا يراقبون الأحداث.

الجد: انظروا إلى السلطان سليمان كيف أشعل حماس جنوده!!

السلطان سليمان يخطب في جيشه وهو يقف على منبر متنقل ليسمعوه:

إن روح النبي محمد ﷺ تنظر إليهم بشوق ومحبة.

سند: لقد أبكت كلماته الجند فاشتعلوا شوقًا للجهاد والشهادة.

رغد: لقد بدأ جيش الصليبيين الهجوم فجأة ليباغت جيش المسلمين وقد بدأت قوات الإنكشارية الباسلة في صد الهجوم الأول المكون من عشرين ألف جندي، الله أكبر لقد أجهزوا عليهم تمامًا .

الجد: إن ملك المجر وقائد جيوش أوربا يأمر بالهجمة الثانية وهي مثل الأولى تمامًا.

سند: الله أكبر لقد قضت قوات الإنكشارية عليها وعلى الهجمة الثالثة أيضًا.

رغد: انظر يا جدي؛ لقد بدأت قوات الإنكشارية والفرسان الخفيفة الانسحاب من الجوانب حسب الخطة الموضوعة، وبدأت جيوش أوربا

تندفع نحو قلب جيش المسلمين، يا رب سلِّم.

الجد: يا تُرى ما هو كرم الضيافة الذي توعدهم به الملك سليمان؟!!

سـند: يا الله؛ إنها نيران المدافع التي صبـت غضبها على جيوش أوربا، إنهم يتدافعون للهرب بعد أن صهرت النار الحديد الذي يتدرع به فرسانهم.

رغد: سُبحان الله إن الآلاف منهم يغرقون بسبب تدافعهم إلى نهر الطولة للهروب، ومن تبقى منهم يحاولون الاستسلام ولكن السلطان سليمان رفض أن يأخذهم أسرى وأمر بإعطائهم السيوف ليدافعوا عن أنفسهم أو يُقتلوا.

الجـد: الحمد لله؛ صدق وعده ونصر عبده وهـزم الأحزاب وحده، ها هو جيش المسـلمين يقوم بعرض عسـكري لبث الرعب في نفوس الأعداء، فلم يستشـهد منهم إلا ألف وخمسمائة وأصيب ثلاثة آلاف مقاتل وانتهى جيش أوربا تمامًا إلا خمسة وعشرين ألف جريح اضطر المسلمون لأسرهم؛ لأنهم لا يقتلون الأسرى.

وهنـا انطلقت صفـارة الإنذار لتعلن ضرورة العـودة إلى المختبر، فعاد المغامـرون وهم يرفعون الرأس فخرًا وعزة، فقد تركوا كُبراء أوربا يقبلون يد خليفة المسلمين اعتذارًا واعترافًا بالفضل.

❖ ❖ ❖

الحلقة الثانية والثلاثون

موقعة باب الواد ١

عادَ سند وأخته رغد إلى مختبر الجد فاضل من جديد على أمل وعد الجدِّ فاضل بمفاجأة في رحلتهم هذه المرة عبر التاريخ، فكانت المفاجأة هي أن الجدَّ استطاع تطوير الباحث التاريخي ليشمل البحث بالسنوات والأماكن والشخصيات وأسماء الدول.

وقد فرح سند وفرحت رغد بالمفاجأة وطلبت من جدها أن يبحث عن حملة شارلكان على الجزائر فقام الجدُّ بكتابة اسم الحملة وضغط الزر الخاص بالبحث وأرسل قوس الحاجز الزمني رسالة تصحيح تخبرهم أن اسم المعركة هو باب الواد وتاريخها هو ٢٨ جمادى الآخرة ٩٤٨هـ مع صفارة الجاهزية للإبحار عبر بوابة التاريخ فانطلقوا ليجدوا أنفسهم على ساحل الجزائر.

سند: انظر يا جدي إلى هذه السفن إنها تزيد على ستمائة سفينة محملة العتاد والأسلحة والمحاربين من معظم دول أوروبا.

الجد: انتظر يا سند واستمع إلى القائد حسن الطوشي الذي أصبح حاكمًا للجزائر بعد خير الدين بربروسة الذي قرر السلطان العظيم سليمان القانوني الاستعانة به في الجبهة الأوربية لخبرته وجهوده العظيمة فنقله إلى استانبول عاصمة الدولة.

اختبأ الجد والحفيدان وراء أحد الحوائط في أحد الحصون، حيث وقف حسن الطوشي وسط زعماء الجزائر وقادة الجند يخطب فيهم:

- يا زعماء الجزائر وقادتها؛ يا أهل النخوة والشجاعة والبطولة، لقد ظنَّ بنا هذا المخدوع شارلكان أن بنا ضعفًا بعد رحيل البطل خير الدين بربروسة، وإني والله لن أسلم الجزائر لقمة سائغة له كما يطلب وسأقاتل حتى آخر نقطة من دمي فما تقولون؟

صاح الزعماء وقادة الجيوش:

- نقاتل العدو معك جميعًا حتى النصر أو الشهادة.

وارتفعت صيحات التكبير حتى ارتجت لها كل الحصون، وانخلعت قلوب الصليبيين من قوتها، وأرسـل حسن الطوشي رسالة إلى شارلكان ردًا على رسالته يقول فيها: «تعال واستلم القلعة والبلد إن قدرت، ولكن لهذه البلاد عادة، أنه إذا جاءها العدو لا يُعطى إلا الموت».

كبَّرت رغد بصوت عال فنظر الجميع إليها، فاضطر الجدُّ إلى اسـتعمال قوس الحاجز الزمني الذي نقلهم إلى المختبر مع وعد باسـتكمال الموقعة في رحلة قادمة.

❖ ❖ ❖

باب الواد ٢

عاد المغامرون الثلاثة من جديد إلى أرض المعركة على ساحل الجزائر حيث وقف شارلكان قائد الحملة الصليبية مستهينًا بدفاعات أهل الجزائر قائلًا:

- وماذا تغني عنهم هذه التحصينات؟ سوف أسحقها وأسحقهم جميعًا، إنني أفكر الآن فيما بعد استيلائي على الجزائر.

وهنا همس سند لجدِّه:

- يا له من مغرور أحمق، أما يعلم أن الغرور بداية الفشل؟!

وصاحت رغد:

- انظر يا جدي؛ الله أكبر، إنها كتائب المتطوعين تنهال على الجزائر من كل صوب، وقد جاءوا مستعدين للقتال فبدأوا المناوشات مع قوات الصليبيين.

الجد:

- نعم يا ابنتي؛ فهم أخبر وأعلم بالأرض من هؤلاء الغزاة، والأرض تقاتل مع أصحابها.

ومع هذه البطولات جاء المدد من السماء برياح عاصفة على حملة شارلكان خلعت الخيام وفرقت العسكر ونزلت أمطار غزيرة أبطلت مفعول البارود لدى جيش الصليبيين وقلبت سفنهم فغرق كثيرٌ منها، وأراد شارلكان أن يحقق نصرًا يحفظ به ماء وجهه فقرر الهجوم الشامل على مدينة الجزائر عبر باب الواد.

لم يصبر المغامرون الثلاثة وانتقلوا بقوس الحاجز الزمني إلى ناحية

المعركـة عند باب الواد فـرأوا العجب العجاب من كتيبـة الحاج بكير قائد الفرسـان الذي اتَّبع أسـلوب الكرِّ والفر فأوقع خسائر جسيمة في صفوف المقدمة الإسبانية .

وجد شـارلكان نفسـه ينتقل من هزيمة لأخرى فقرر الانسحاب والنجاة بجنوده على ما تبقى من سـفنه هاربًا إلى إيطاليا ولم يرجع إلى إسـبانيا، وانتشر خبر انتصار أهل الجزائر على التحالف الأوربي فتفكك هذا التحالف ولم تقم له قائمة ومات شارلكان حزينًا بعد هذه الموقعة بقليل.

وانطلقـت صفارة الإنـذار ليعود المغامـرون إلى المختبـر وكلهم فخر بأمجاد أمتهم.